الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمة لخضر – الوادي –

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

النسق الديني والاجتماعي والحضور الأنثوي في رواية " وادي الحناء" لجميلة طلباوي

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالبات:
- ✓ بن بردي أسماء
- ✓ فتح الله أسماء
- ✓ زيدي منى

إشراف الدّكتورة:
يسمينة عوادي

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الجامعة	الصفة
د. ميداني بن عمر	جامعة الشهيد حمه لخضر	رئيسا
د. يسمينة عوادي	جامعة الشهيد حمه لخضر	مشرفا ومقررا
د. نعيم قعر المثرد	جامعة الشهيد حمه لخضر	مناقشا

السنة الجـامعية: 1443-1444 هـ/ 2023-2024م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

أول من يشكر ويحمد آناء الليل وأطراف النّهار، هو العلي القهار، الأول والآخر و الظاهر والباطن، الذي أغرقنا بنعمه التي لا تحصى، وأغدق علينا برزقه الذي لا يفنى، وأنار دروبنا، فله جزيل الحمد والشكر والثناء ، هو الذي أنعم علينا إذ أرسل فينا عبده ورسوله "محمدا بن عبد الله" عليه أزكى الصلوات وأطهر التسليم، بقرآنه المبين، فعلمنا ما لم نعلم، وحثنا على طلب العلم أينما وجد.

لله الحمد كلّه والشكر كله أن وفقنا وألهمنا الصبر على المشاق التي واجهتنا لإنجاز هذا العمل المتواضع.

والشكر موصول إلى كل معلّم أفادنا بعلمه، من أولى المراحل الدّراسية حتى هذه اللحظة.

كما نرفع كلمة شكر إلى الدكتورة المشرفة " يسمينة عوادي " التي أرشدتنا لإنجاز بحثنا.

كما نشكر كل من مدّ لنا يد العون من قريب أو بعيد، ونشكر كل أساتذة قسم اللغة العربية وآدابها.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن ندعو الله عزّ وجل أن يرزقنا السّداد، والعفاف، والغنى وأن يجعلنا هداة مهديين.

بن بردي أسماء

فتح الله أسماء

زبدي منى

الإهـــداء

أُهدِي ثمرة جهدي المتواضع:

إلى صاحبي الفضل بعد الله والديَّ الغاليين.

و إلىَ أختي و إخوتي رفقاء دربي في الرَّخاء والشِدَّةَ.

إلى صديقتي "غزالة زيدان".

وإلى كلّ زملائي وعلى رأسهم السيِّد المدير.

بن بردي أسماء

الإهـداء

أهدي ثمرة تعبي، وجهدي المتواضع . .

إلى الزكية السمحة . . . أمي

إلى معلمي وقائدي الأول . . أبي .

إلى زهرات فؤادي أخواتي وأبناؤهن وأخص منهم ابن قلبي

"راشد" .

إلى صغيرتي الكبيرة "نور" .

إلى حبل ودادي . . . أشقائي

إلى شقيق الروح . . . رفيق الشدة والرخاء "سعد " .

إلى أخي وعضدي " أحمد "

إلى الرفيقة الحبيبة " بثينة لبراو "

أسماء فتح الله

الإهـداء

أهدي ثمرة جهدي المتواضع:

إلى والديَ الكريمين، أطال الله في عمرهما، وأمدَهما بالصحة والعافية.

و إلى إخوتي وأخواتي الغاليين على قلبي.

و إلى زوجي الغالي و سندي في هذه الحياة.

و إلى ولديَ هديةَ الله لي.

و إلى زملائي في العمل، وعلى رأسهم السيّد المدير.

زبدي منى

مقدمة

مقدمة:

ظهر النقد الثقافي في أواخر القرن العشرين، فأدى إلى تحول في مجال الدراسات النقدية من نقد الأدب إلى نقد الأنساق المضمرة فيه، ويهدف هذا التحول إلى فهم العمل الإبداعي من خلال نقد الأنساق الثقافية والتي تهدف إلى الكشف عن كل التفاعلات الثقافية التي يبطنها النص الأدبي وخصوصا المتخيل السردي باعتباره شكلا من أشكال الثقافة المتعددة وهذا ما لمسناه في رواية "وادي الحناء" لجميلة طلباوي، حيث تناولت فيها الكاتبة عدة مواضيع متعلقة بالمرأة الصحراوية وقد أولت الروائية أهمية كبيرة للتراث الصحراوي في منطقة تيمي – تحديدا– وما تزخر به من عادات وتقاليد وأعراف وطقوس اجتماعية.

وقد وقع اختيارنا على هذا الموضوع لأسباب عدة منها: أسباب موضوعية تمثلت في التعبير عن صور متعددة للمرأة الصحراوية، كما أن الروائية من الجنوب إضافة إلى أن موضوع الرواية جديد، فهو يُسَلِّطُ الضوء على الهامش (الجنوب الحناء). الموضوع له صلة بالتراث الثقافي والديني ومن ذلك مكانة الزاوية في المجتمع الجزائري فهي جزء لا يتجزأ من التراث المغاربي والجزائري.

ومن أسباب اختيارنا أيضا، دوافع ذاتية تعلقت بـ: الميل لكتابات جميلة طلباوي المتميزة وميولنا للدراسات السردية.

اخترنا هذا الموضوع الموسوم **بالنسق الديني والاجتماعي والحضور الأنثوي في رواية وادي الحناء لجميلة طلباوي** للدراسة وحاولنا الإجابة عن الإشكالية الآتية: كيف نقلت الرواية المجتمع الصحراوي من الواقعي إلى التخييلي باعتبار الرَّواية تكتب الحياة؟

وقد أدت هذه الإشكالية إلى طرح تساؤلات فرعية أبرزها:

- كيف وضعت الروائية الأنثى بين الهامش والمركز؟
- كيف أثرت الزاوية في المجتمع كونها جزءا لا يتجزأ منه؟

- كيف اشتغلت الرواية على تصوير المجتمع الصحراوي دينيا وثقافيا واجتماعيا؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات اتبعنا الخطة الآتية:

افتتحنا بحثنا بمقدمة وأتبعناها بمدخل يتضمن مقاربة نظرية(مفاهيم نظرية) ثم تطرقنا في الفصل الأول المعنون بـ: الأنساق الثقافية في بعض الروايات للجانب النظري المكون من المبحث الأول: النسق الديني، يليه المبحث الثاني: النسق الاجتماعي، والمبحث الثالث: الحضور الأنثوي في النص الأدبي، أما الفصل الثاني، فقد تم عنونته بـ: دراسة الأنساق الثقافية في رواية "وادي الحناء" لجميلة طلباوي، وقد خصص للجانب التطبيقي، وقد احتوى مبحثين أساسيين: المبحث الأول: النسق الديني، والهيمنة الناعمة والمبحث الثاني: النسق الاجتماعي.

وأنهينا بحثنا بخاتمة تتضمن أهم النتائج المتوصل إليها في هذه الدراسة، وللسير في هذه الخطة اعتمدنا المنهج الآتي: حيث قمنا بمقاربة الرواية بالنقد الثقافي وطعمنا الدراسة عند الضرورة بالمقاربة السيميائية.

تناول بعض الدارسين هذا الموضوع من جوانب متعددة.

أما عن المصادر والمراجع التي اعتمدناها في بحثنا هذا نذكر منها:

- وادي الحنّاء لجميلة طلباوي.
- النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية لعبد الله الغذامي.
- أسس النقد الثقافي وتطبيقاته في النقد العربي المعاصر لطارق بوحالة.
- اشتغال الأنساق المضمرة في الخطاب الأدبي لمجموعة من الباحثين.

وقد واجهتنا في دراستنا صعوبات عدة نذكر منها:

1. ضيق الوقت حيث أنه لم يسعفنا للتعمق في الكشف عن كل الأنساق الثقافية المضمرة في الرواية.
2. شمولية المنهج وقابليته للتأويلات المتعددة والمنفتحة.
3. الالتحاق المتأخر بمقاعد الدراسة

وفي الأخير فإنه لا يشكر الله من لا يشكر الناس، لذا نتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى كل من مد لنا يد المساعدة في إنجاز هذا البحث المتواضع من قريب أو بعيد، ونخص بالذكر الأستاذة المشرفة الدكتورة يسمينة عوادي، التي لم تبخل علينا بالنصح والتوجيه طوال إشرافها على هذا الإنجاز، فجزاها الله عنا خير الجزاء، إن أصبنا فمن الله عز وجل وإن أخطأنا فمن أنفسنا والشيطان، وهذا الجهد وعلى الله التكلان.

مدخل

من النقد الثقافي إلى الأنساق الثقافية

1. مفهوم الثقافة
2. مفهوم النّقد الثّقافي
3. مفهوم النّسق
4. مفهوم النّسق الثّقافي

1. مفهوم الثقافة:

اختلفت الآراء حول مفهوم الثّقافة، فقد سعى الباحثون لتحديد مفهوم دقيق لها، وانتشرت مفاهيم وتعريفات عديدة للثّقافة منها: تعريف عالم الأنثروبولوجيا البريطاني (إدوارد تايلور)، حيث يعتقد: أنّ "الثقافة هي كل مركب يشتمل على المعرفة والمعتقدات والفنون والأخلاق والقانون والعرف، وغير ذلك من الإمكانيات أو العادات التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضوا في المجتمع"[1].

ويرى عالم الاجتماع الأمريكي (تالكوت بارسونز): "أن الثقافة مكونة من النماذج المتصلة بالسلوك وبمنتجات الفعل الإنساني التي يمكن أن تورث بمعنى أن تنتقل من جيل إلى جيل بصرف النظر عن الجينات البيولوجية.

وتعدّ الثّقافة ظاهرة إنسانية تتوارثها الأجيال فيما بينها، الأمر الذي دفع بارسونز إلى إخراجها من حالة الوصف إلى حالة التّطور والتّاريخية، بمعنى أنّ الثقافة لم تعد مجمل الصفات المكتسبة في وقت بعينه، بل هي سمات خاضعة للتطور والصيرورة التاريخيين، لهذا ارتبطت هذه الصّفات بالجينات البيولوجية"[2].

وقد تطوّر مفهوم الثّقافة بالتّزامن مع تطوّر حقل الدّراسات الثّقافية، حيث ركّزت الدّراسات على مفهوم للثّقافة يتجاوز السّائد في العلوم الأنثروبولوجية والاجتماعية، فهي "جملة من الصفات والتحولات والممارسات والتكنولوجيات والمؤسسات التي تنتج أشياء وأحداثا، مثل الأفلام والقصائد أو مباريات المصارعة العالمية ويجرى اكتشافها ومعايشتها وإعطاؤها معنى وقيمة بطرق مختلفة.."[3].

---

[1] مجموعة من الكتاب، نظرية الثقافة، تر: علي سيد الصاوي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة، الكويت، دط، 1997، ص 09.

[2] طارق بوحالة، أسس النقد الثقافي وتطبيقاته في النقد العربي المعاصرون دار ميم للنشر، الجزائر، 2024، ص21

[3] المرجع نفسه، ص23

2. مفهوم النّقد الثّقافي:

ارتبط النّقد الثّقافي بعدّة فروع مثل علم الاجتماع واللّسانيات وعلم النّفس، وهذا ما جعله غير محدّد بموضوع معين، ممّا أحدث جدلا في تحديد مفهومه. وبهذا الصّدد نذكر بعض المفاهيم:

"يعد النقد الثقافي طرحا نقديا جديدا، ارتبط بإفرازات سياق معرفي جديد خاص"[1]، حيث جاء كردّ فعل على البنيوية اللسانية والسيميائيات والنظرية الجمالية التي تعنى بالأدب، فالنقد الثقافي يقوم على استكشاف الأصناف الثقافية المضمرة ودراستها في سياقها الثقافي والاجتماعي والسياسي والتاريخي والمؤسّساتي، فهو "يدرس النّص في علاقته بالأيديولوجيات والمؤثرات التاريخية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والفطرية، وبهذا يصبح النص معطى ثقافيا بالأساس، يتخذ لنفسه شكلا جماليا، أي أنه بنية ثقافية جمالية"[2].

والمفهوم الأساسي المتداول للنقد الثقافي: "أنه نشاط نقدي يشتغل على كشف الأنساق الثقافية المضمرة داخل الخطابات الأدبية شعرا ونثرا، والخطابات غير الأدبية مثل الأغنية والصورة والإشهار واللوحة، وأسلوب الحياة اليومية، والأزياء والموسيقى وغيرها"[3].

لقد تعدّدت مفاهيم النّقد الثّقافي عند بعض النّقاد منهم "عبد الله الغذّامي" الذي عرّفه بأنّه: "فرع من فروع النقد النصوصي العام، ومن ثم فهو أحد علوم الألسنية، يعنى بنقد الأنساق المضمرة التي تنطوي على الخطاب الثقافي بكل تجلّياته وأنماطه"[4].

[1] طارق بوحالة، أسس النقد الثقافي وتطبيقاته في النقد العربي المعاصر، ص30

[2] مجموعة من الباحثين، اشتغال الأنساق المضمرة في الخطاب الأدبي، دار خيال للنشر، الجزائر، 2019، ط1، ص198

[3] طارق بوحالة، أسس النقد الثقافي وتطبيقاته في النقد العربي المعاصر ، ص30

[4] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية، دار المركز الثقافي العربي، المغرب، ط3، 2005، ص83

وعرّفه سعد البازعي وميجان الرويلي بأنّه: "نشاط فكري يتخذ من الثقافة بشموليتها موضوعا لبحثه، وتفكيره، ويعبر عن مواقف إزاء تطوراتها وسماتها"[1]. وعرّفه صلاح قنصوة أنّه: "ليس منهجا بين مناهج أخرى، أو مذهبا أو نظرية، كما أنه ليس فرعا أو مجالا متخصصا... بل هو ممارسة أو فاعلية تتوفر على درس كل ما تنتجه الثقافة من نصوص سواء أكانت مادية أو فكرية"[2].

ويعرفه "آرثر أيزا برجر" بأنّه: "نشاط وليس مجال معرفي خاص بذاته... وأن نقّاد الثقافة يطبقون المفاهيم والنظريات على الفنون الراقية والثقافة الشعبية والحياة اليومية..."[3].

3. مفهوم النّسق:

أ. لغة:

للنّسق تعريفات لغوية عديدة ومتشابهة حيث يعرفه ابن منظور في لسان العرب بقوله: "النّسق من كلّ شيء، ما كان على طريقة نظام واحد، عام في الأشياء، وقد نسقته تنسيقا، ويخفف ابن سيده، نسق الشيء ينسقه نسقا ونسقه نظّمه على السواء، وانتسق هو وتناسق، والاسم النسق، وقد انتسقت هذه الأشياء بعضها إلى بعض أي تنسّقت"[4].

---

[1] ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط3، 2002، ص305.

[2] صلاح قنصوة، تمارين في النقد الثقافي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2007، ص11.

[3] آرثر أيزابرجر، النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية، تر: وفاء إبراهيم، رمضان بطاويس، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2003، ص313.

[4] ابن منظور، لسان العرب، مادة نسق، باب النون، تح: مجموعة من الباحثين، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة، د.ط، د.ت، ج6، ص4412.

ب. اصطلاحا:

يعرّف النّسق في المعاجم الحديثة والدراسات النّقدية على أنّه: "مجموعة من العلامات اللسانية والثقافية المختلفة، أو مجموعة من العناصر والبنيات التي تتفاعل فيما بينها، وفق مجموعة من المبادئ والمعايير والقواعد"[1].

أما محمد مفتاح فعرّفه على أنّه: "ما كان مؤلفا من جملة من عناصر أو أجزاء تترابط فيما بينها وتتعالق لتكون تنظيما هادفا إلى غاية، وهذا التجديد يؤدي إلى نتائج عديدة"[2].

ومن خلال ما سبق نرى أنّ هناك علاقة تشابه بين التّعريفين اللّغوي والاصطلاحي، فكلاهما يعتمد على التّرابط والتّنظيم.

4. مفهوم النّسق الثّقافي:

تعدّدت تعريفات النّسق الثّقافي، كونه الأكثر استعمالا لدى النّقاد الثّقافيين، فقد عرّف الغذامي النّسق الثّقافي بقوله:"... فالأنساق الثقافية هذه أنساق تاريخية أزلية وراسخة، ولها الغلبة دائما، وعلامتها هي اندفاع الجمهور إلى استهلاك المنتوج الثقافي، المنطوي على هذا النوع من الأنساق، وقد يكون ذلك في الأغاني أو الأزياء أو الحكايات والأمثال، مثلما هو في الأشعار أو الإشاعات والنكت، وكل هذه الوسائل هي حيل بلاغية تعتمد على المجاز، وينطوي تحتها نسق ثقافي ..."[3].

كذلك عرّفه أحمد يوسف عبد الفتاح في قوله: "الأنساق الثقافية بمثابة قوانين وتشريعات أرضية من صنع الإنسان لضبط نفسه ولتصريف أموره في الحياة، وهي تعبير

[1] جاسم محمد عباس، الأنساق الثقافية في شعر موسى حوامدة، مجلة الجامعة العراقية، جامعة الأنبار، كلية الآداب العربية، قسم اللغة، العدد 49، ج2، ص225.

[2] محمد مفتاح، النص من القراءة إلى التنظيم، شركة النشر والتوزيع، المغرب، ط1، 2000، ص49.

[3] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ص76.

عن تصوير الإنسان القديم لما ينبغي أن تكون عليه الحياة، والأنساق الثقافية قابلة للتصور شأنها شأن كل عناصر الحياة"[1].

كما أن الأنساق الثّقافية "تتّصف بطابع الحركية والتحوّل داخل حياة المجتمعات، كما أنّه لكلّ مجتمع أنساقه الخاصة، وهو ما يجعلها تسهم في بناء الحياة الاجتماعية، فهي تأخذ بعد انتشارها وظيفة القوانين والتشريعات التي تنظم هذه الحياة وتتحكم في سلوكيات الأفراد"[2].

من خلال ما سبق فإن النّسق الثّقافي يمثّل تلك العناصر المترابطة والمتفاعلة والمتمايزة التي تخصّ المعارف، والمعتقدات والأخلاق والعادات والتّقاليد، والتي يكتسبها الإنسان في مجتمع معيّن.

ويرى عبد الله الغذامي أنّ: "النّسق يتحدّد عبر وظيفته، وليس عبر وجوده المجرّد، والوظيفة النسقية لا تحدث إلا في وضع محدّد ومقيّد، وهذا يكون حينما يتعارض نسقان أو نظامان من أنظمة الخطاب أحدهما ظاهر والآخر مضمر"[3].

[1] أحمد يوسف عبد الفتاح، لسانيات الخطاب والأنساق الثقافية، دار الاختلاف، بيروت، ط1، 2010، ص151

[2] طارق بوحالة، النسق الثقافي، صحيفة المثقف، صحيفة الكترونية، 6 فبراير 2024

[3] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية، ص77

الفصل الأول

الأنساق الثقافية في بعض الروايات (نماذج)

المبحث الأول: النسق الديني

المبحث الثاني: النسق الاجتماعي

المبحث الثالث: الحضور الأنثوي في النص الأدبي ونسق الفحولة

المبحث الأول : النّسق الدّيني

يعدّ النّسق الدّيني من أهمّ جوانب الحياة الإنسانيّة خاصة في المجتمعات المسلمة، فهو يتحكّم في العلاقات بين الأفراد، فالدّين عنصر يدخل في تكوين هويّات الشّعوب، و ينظّم حياتها. و كلمة "الدّين هي الطاعة والانقياد والجزاء والحساب، وهي اسم لجميع ما يتديّن به، والملّة جمع أديان وتديّن بعقيدة أي دان بها"[1].

كما يعتبر الدّين "مجموعة العقائد التي انعقدت عليها نفس الإنسان وارتبطت بها روحه، فلا ينفصل عنها، وإن اختلفت درجة منحه لها وإعانته بها، ورسوخه فيها"[2].

فالدّين هو العمود الفقري للمجتمعات، عليه تقوم الحياة في شتى الجوانب الاجتماعية، العاطفية، السياسية، الفكرية وغيرها، كما يعدّ الطابع الديني من أهم مكوّنات شخصية الإنسان وسلوكياته، وتعاملاته سواء أكان ذلك مع ذاته أو مع الآخرين، فهو يدور حول الاستسلام والانقياد والتسليم الكامل لله، والعمل بما جاء في كتابه وسنّة نبيّه محمّد صلّى الله عليه وسلّم من "عقائد وأعمال متعلقة بشؤون مقدّسة أي مميّزة محرّمة تؤلّف من كلّ من يعتنقها أمّة ذات وحدة معنوية"[3].

إن للدّين الأثر البليغ في كلّ المجتمعات، "فهو يمثّل السلطة الموجهة للسلوك والقوانين والأعراف"[4]، وقد لقيت هذه السلطة معارضة في أحيان كثيرة، بين وصفها بالانحياز للرّجال، وبين نعتها بالرّجعية والتّشدّد، ففي رواية "تاء الخجل" نجد نموذج رفض سلطة الدّين باعتباره ذكوريّا، فقد برع الرّجال في توجيه النصوص الشرعية بما يناسبهم، ويظهر ذلك في السّردي

[1] المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، مطابع وزارة التعليم العالي، القاهرة، مصر، 1999، ص241.

[2] لعلى يحياوي، حماية المقدسات الدينية عند الدول الإسلامية، دراسة مقارنة بين الفقه الإسلامي والقانون الجنائي العام، مذكرة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2010/2009، ص7.

[3] مصطفى عبد الرزاق، الدين والوحي والإسلام، مؤلفات الجمعية الفلسفية المصرية، دار إحياء الكتب العربية، د.ط، 1995، ص18.

[4] بلقاسم ابن زينين، الجزائر في الفكر الأثروبولوجي، كتاب جزائر الأنثروبولوجيين نموذجا، مذكرة ماجستير، جامعة أبو بكر بلقايد، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم الثقافة الشعبية، 2001/2000، ص85.

الآتي: "....الرجال يفصّلون الإسلام على أذواقهم..."[1]، فهي هنا لا تتّهم الدّين، بل فهم الرّجل للدّين وقضية المركزية الذكورية في التشريع الديني، وطريقة تجسيدها في الواقع، ودليل ذلك قولها: "مَن مِن هؤلاء يعرف رحمة الإسلام؟"[2]، فهي تؤكّد أن مشكلة النساء القبائليات ليست مع الإسلام نفسه بل مع من يطبقونه حسب أهوائهم.

وتظهر الرّواية نموذجا لسلطة دينية أخرى يمثّلها الإمام أو الشّيخ، الذي يحظى بالوجاهة والتّعظيم، فلا يخاطبه أحد باسمه المجّرد احتراما، فقد ورد في الرّواية:

"سيدي إبراهيم هو الرجل السلطة في ذلك البيت"[3]، فإبراهيم حسب الروائية رجل دين، يجب أن ينادى بلفظ "سيدي" لأنّه حافظ للقرآن وفقيه، فاختيار كلمة "سيدي" تدلّ على سلطة توجيه النّاس وإعطاء الأوامر وحقّ الطّاعة غير المشروطة حتّى تحلّ عليهم البركات.

كما وظّفت فضيلة الفاروق الدّين بصورة قبيحة في روايتها "أقاليم الخوف" وذلك في عدّة نماذج، منها شخصية أياد ذات الأصول العربية الإسلامية، فلم يمنعه إسلامه من مقاومة شهواته ونزواته ومن إقامة علاقة غير شرعية مع امرأة غربية عنه، وشربه الخمر وهذا ما صرّحت به البطلة مارغريت في قولها: "أياد الذي عشت معه أحلى أيامي في نيويورك، والذي عاشرته وساكنته ثلاث سنوات، قبل أن نتزوج كان شابا طموحا، ضحوكا حيويا، وصحبته ممتعة"[4]، ويظهر لنا هذا القول حقيقة شخصية أياد التي انسلخت عن أصولها وتأثرت بالغرب طوال فترة إقامته بأمريكا واتخذت من الدّين انتماء فطريا فقط.

[1] فضيلة الفاروق، تاء الخجل، دار الرئيس للكتب والنشر، بيروت، لبنان، 2003، ط1، ص55.

[2] فضيلة الفاروق، تاء الخجل، ص55

[3] المرجع نفسه، ص17

[4] فضيلة فاروق، أقاليم الخوف، رياض الريس للكتب وللنشر، بيروت، لبنان، 2010، ط1، ص25

وتشير في نموذج آخر مثّله الحاج عبد الله زوج شهد أخت أياد الذي كان شيخا ورعا في بيروت وإمام الصّلاة في العائلة، كما جاء في هذا المقطع: "يقوم الجميع لتأدية الصلاة جماعة خلف عبد الله زوج شهد، الذي يؤم الصلاة"[1].

وتظهر هذه الشّخصية بشكل آخر في دارفور باسم مستعار "إسماعيل جاد الحق" كتاجر سلاح في ساحات الحروب ومتعاط للخمر، عكس ما كان عليه في بيروت، حيث تقول عنه مارغريت: "كان هو الشيخ عبد الله زوج شهد، الملامح نفسها، اللحية نفسها، الصوت نفسه، الخاتم نفسه في خنصر يده اليمنى، التي مدّها لي هذه المرّة ليصافحني، مع أنه لا يصافح النساء.. زوج شهد، بدون عطور... بدون عباءة... وبدون تقواه وورعه، رجل آخر، يتقاسم قنينة ويسكي صغيرة من مغامر مثله"[2].

وهكذا كان الدّين مجرد قناع يخفي حقيقتهم القبيحة.

وفي مشهد آخر مماثل من نفس الرّواية، وفي إسلام آباد نجد أن المحكمة الباكستانية، النّاطقة باسم الدين تظهر تعسّفها من خلال القاضي كما جاء في قول مارغريت: "قادني نوا إلى محكمة مضحكة! جلس فيها رجل بلحية طويلة، وقبعة بيضاء تشبه قبعات اليهود السوداء، وقميص اختلط بياضه بالوسخ، وراح يتكلم حانقا، مشيرا إلى امرأة مفقوءة العينين، مجلوفة الأنف، ومقطوعة الأذنين... لقد شكّ الرجل في زوجته، ظنّها تخونه مع رجل آخر... وافترض ما افترضه وبتر منها ما بتر، ثم برّر جريمته قائلا أنّه مسلم ومن واجبه أن يغيّر المنكر بيده، ليظفر برضى الله، وينقذ شرفه، السيدة المشوّهة التي تحمل اسم زاهدة نفت ما اتهمت به ... طلب القاضي شهودا لإثبات براءتها، ولم يطلب من زوجها شهودا لإثبات تهمتها، ثمّ تلفظ بالحكم، فإذا بأصوات الرجال ترتفع "الله أكبر.. الله أكبر"، وزاهدة التي لم يعد لها ملامح، والتي حكم عليها بالسجن في ليل مؤبد"[3]. فيصوّر هذا المقطع تعسفا

[1] المرجع نفسه، ص19

[2] فضيلة الفاروق، أقاليم الخوف، ص58.

[3] المرجع نفسه، ص63.

باسم الدّين وظلما في حق زاهدة، كما يظهر أيضا عنفا باسم الدّين من خلال تعذيب الرجل لزوجته بمجرد شكّه في خيانتها له، ومن هنا أصبح الدين يشكل فوبيا للمرأة الباكستانية.

وفي رواية "عازب حي المرجان" لربيعة جلطي يتجلّى النّسق الديني بصورة قبيحة أيضا في شخصية مصطفى المتطرّفة فقد تخرّج من الجامعة حاملا شهادة علوم الشّريعة، وعمل مدرّسا لمادة التربية الإسلامية، "سمعت أنه يدرّس مادة التربية الإسلامية في مدينة أرزيو.. وقد ظهرت عليه بوادر الشّيخوخة المبكرة.. كان يجرّ طفلتين إحداهما على رأسها غطاء أسود لم تتوقف عن الصراخ"[1]، فتظهر ملامح تطرفه في إلزامه لابنته الصغيرة بارتداء غطاء أسود على رأسها رغم أنّها لم تكلّف بعد شرعا، إلا أنّه يخفي فسوقه مع الراقصة نورهان كما جاء في هذا المقطع: "لم تترك المرأة ذات الصوت العذب مصطفى في حيرته طويلا أو تجاهلته، فأخبرته للتو وبضحكة كأنها زقزقة الطير: "يااه، أنا "الراقصة نورهان "نتاع" كباري العيون! " ثم عاتبته في جملتين قصيرتين قاسيتين لغيابه عن سهرة الخميس التي كانت حامية... وأنّها انتظرته على أحرّ من الجمر"[2]، فهو يظهر للناس عكس ما يخفيه.

[1] ربيعة جلطي، عازب حي المرجان، منشورات ضفاف منشورات الاختلاف، لبنان، الجزائر، ط1، 2016، ص38.
[2] المرجع نفسه، ص39.

المبحث الثاني : النّسق الاجتماعي

إنّ الإنسان اجتماعي بطبعه، فلا يمكنه العيش بصورة فردية بعيدا عن الجماعة، لأنّه يؤثّر ويتأثّر ويتفاعل مع غيره، للقيام بمهام معيّنة في حياته اليومية، "إذن النّسق الاجتماعي هو أيّة وحدة اجتماعيّة تؤدّي وظيفة ما، ويعرّفه ليفي بأنّه: أي نسق للسّلوك الاجتماعي يتضمّن جمعا من الأفراد المتفاعلين، ويعرّفه راد كليف براون بأنّه: مجموعة معيّنة من الأفعال والتّفاعلات بين الأشخاص الذين توحّد بينهم صلات متبادلة، ويعني النّسق الاجتماعي في مصطلحات لوميز وبيجل جماعة اجتماعية معينة كما يعني تجريدا للبناء الاجتماعي"[1].

أما العالِم الاجتماعي الأمريكي تالكوت بارسونز فنجد أنّ النّسق الاجتماعي عنده يتضمّن عدّة معان، فيعرّفه على أنّه: "عدد من الأفراد الفاعلين المتفاعلين مع بعضهم، وقد يكون النسق نسيج من العلاقات بين الأفراد، وقد يكون الدوافع التي توجه عددا من الأفراد الفاعلين وبصورة عامة فإن فهم النسق الاجتماعي يتطلب فهم الموجه الدافعي للأفراد"[2].

ويتجلى النّسق الاجتماعي في عادات وتقاليد وطقوس وأعراف المجتمعات وهي عبارة عن أنماط سلوكية ووظائف اجتماعية تنتقل من جيل إلى آخر لتقوية الروابط الاجتماعية منها: الأعياد والمناسبات، اللّباس، الأكل، التّراث، الجنائز.. الخ. وقد سيطرت على عقول النّاس، وقد احتلت مكانة عظيمة إلى جانب الدين والعلم. إنّ هذه العادات والتّقاليد في شقّها المتعلّق بالمرأة منذ القدم قد همّشتها وحجبتها في المنزل، وحرمتها من حقّها في التّعليم رغم

[1] إيكهو لتكرانس، قاموس مصطلحات الأنثولوجيا والفلكلور، تر: محمد الجوهري وحسن الشامي، دار المعارف، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، ط1، 1972، ص347.

[2] محمد عبد المعبود مرسى، علم الاجتماع عند تالكوت بارسونز بين نظرتي الفعل والنسق الاجتماعي، الناشر، مصر، ط1، دت، ص8.

أن هناك بعض الأمم التي تخلصت من هذه العادات وأدركت أهمية تعليم المرأة ودورها في المجتمع.

ومن النّماذج التي تصوّر لنا تهميش المرأة، في فترة التسعينات خاصة أثناء تردّي الأوضاع وانعدام الأمن، خاصة في الأرياف والمداشر، رواية "تاء الخجل" لفضيلة الفاروق، ففي مجتمع قروي كآريس، حيث يقومون بحجب المرأة في المنزل، باعتباره المكان المثالي لها وبأنّ خروجها من منزلها دون ضرورة يعد عيبا عرفيا، وبهذا يتمّ منعها من التّعليم الذي يعدّ حكرا على الرجال، لذلك نجد سيدي إبراهيم "كتب "حجابا" لينجح الذكور وكتب آخر ليجعل من الإناث ربات بيوت"[1]، حيث يتمّ إعدادها أي المرأة لتكون ربّة منزل.

وفي موضع آخر تصوّر لنا هذه الرواية مشهدا يبرز العادات والتقاليد التي تضع المرأة في الهامش، وذلك من خلال تقديم الرجال على النّساء في الأكل أثناء فترة الغداء، كما جاء على لسان الراوية خالدة: "أمّا ما يجعلني فعلا أفقد أعصابي فهو فترة الغداء يوم الجمعة نحن النساء علينا أن ننتظر عودة الرجال من المسجد، وبعد أن ينتهوا من تناول الغداء يأتي دورنا نحن النساء ... كنت أكره ذلك التقليد، الذي جعل منّا قطيعا من الدرجة الثانية...

يجلسون في غرفة الضيوف حول المائدة الكبيرة، ينتظرون خدماتنا لهم، كانت النسوة يبقين في المطبخ، يسكبن الصحون، ونحن الصبايا نقوم بتوصيلها، ولهذا كل يوم جمعة أصاب بالصداع كانت تلك البوادر الأولى لتمردّي ومقاومة العائلة"[2].

ومن العادات والتقاليد البالية التي ذكرت في هذه الراوية عادات الأعراس، إذ يعدّ أمر تزويج الأبناء قرار في يد الكبار فهم الذين يختارون العروسة والعريس، دون استشارة الطرفين ويكون ذلك مسبقا. ومنذ الطفولة أحيانا، مما يجعل رفض أحد الطرفين أمرا صعبا،

[1] فضيلة الفاروق، تاء الخجل، المرجع السابق، ص21، 22.

[2] المرجع نفسه، ص24.

وقد تجلى ذلك مع أحمد الذي اختارت له للّا عيشة عروسة، "وللا عيشة ماذا قالت؟ هي تريد لي سعدة أو ريحانة وأنا لا فرق عندي بينهما"[1].

وفي رواية "عائشة": "لحوّاء حنكة نجد طقوس العبور (العدّ) في الجنائز لأرملة المتوفّى حورية زوجة عباس الحلّاق، حيث نجد بأنّ النّسوة يتبعن الفقيد وبعد مغادرة الرّجال يزرن القبر ويبلّلن تربته بالعطر لمدّة ثلاثة أيام على التوالي بعد بزوغ الفجر كما جاء في هذا المقطع السردي " لا تلبس السّواد إلا وقت الحداد، وبالغالب يكون باليوم الموالي لوفاته، حيث تغتسل الزوجة فجرا وتزور قبره حاملة ماء غسلها وثيابها التي كانت تلبسها، ثم ترميها بالمقبرة كدليل للفقيد أنها قد بدأت بالحداد، تفعل هذه الطقوس أيضا يوم انقضاء العدة "[2].

إذ أن اللباس الأسود يشير إلى الحزن والحداد، يلبس عادة في الجنائز ونشهد هذا في العديد من الدول (مصر، السّودان، اليابان، تركيا، سوريا، لبنان..).

كما نجد أنّ واسيني الأعرج يوظف اللّباس الأسود في روايته "سيرة المنتهى عشتها... كما اشتهتني"، في قوله: "كان وجهها مغطّى بحجاب أسود شفّاف لا يظهر إلّا جزءا محدودا من عينيها"[3].

ومن أمثلة اللباس أيضا اللّباس الذي يكشف عن التراث الشعبي للمجتمعات، وقد وظّف في عدّة روايات منها رواية تاء الخجل لفضيلة الفاروق حيث وظفت ألبسة منتشرة في المجتمع القبائلي منها: الشّاش وهو خاص بالرجال، "غطاء للرأس يشبه العمامة"[4]، يدل على البداوة حسبما ورد في الرّواية، فقد تحدّثت الكاتبة عن أشخاص قادمين من مارسيليا الفرنسية

[1] فضيلة الفاروق، تاء الخجل، ص31.

[2] حواء حنكة، عايشة، سامي للطباعة والنشر والتوزيع، الوادي، الجزائر، ط1، 2016، ص48.

[3] واسيني الأعرج، سيرة المنتهى عشتها... كما اشتهتني، دار البغدادي للنشر والتوزيع، ص40.

[4] فضيلة الفاروق، تاء الخجل، ص94.

والشّاش دليل على انتمائهم القرويّ، حيث تقول: "في المطار كان قدماء مارسيليا يروحون ويجيئون بشيشانهم التي تعرف عن انتمائهم القروي"[1].

كما وظّفت الكاتبة في نفس الرواية نوعا آخر من اللّباس يخصّ النساء الأمازيغيات وهو الملاءة السّوداء، لباس واسع أسود اللون يدل على وقار المرأة والتزامها، كما جاء في هذا المقطع: "امرأة تلتحف الملاءة السوداء"[2].

ومن جهة أخرى نجد العادات والتقاليد المتمثّلة في الأواني والأطعمة، فمنها وجبة الجزائريين المعروفة بـ "الكسكس" المحبوب من طرف الأسر، "وهو وجبة تقليدية شائعة في كامل بلاد المغرب العربي، يحضر من دقيق القمح ويضاف له البيض والزبيب والتوابل المختلفة، ثم يصبّ عليه مرق من الخضر واللّحم[3]، كما ورد ذكر أكلة الكسكس في رواية "تاء الخجل" لفضيلة الفاروق في المقطع السردي الآتي: "سارعت إلى طنجرة، الكسكسي، وقلّبت الكسكاس الذي يتصاعد منه البخار على قصعة خشب، وراحت تفرك "الكسكسي" بيديها..."[4]

نلاحظ من خلال هذا الجزء من الرواية أنّه اشتمل على جملة من التراث الأمازيغي في منطقة القبائل ذي الصّلة بالأواني والأطعمة، إذ تحدّث عن الكسكس والقصعة وهي الآنية المعروفة المصنوعة من الخشب وتستعمل للفرك، والطنجرة، كما وضحت وشرحت هذه الرواية بعض الأكلات الشعبية والأواني التي يختص بها الجزائريون، كالكسكاس وهو الوعاء الذي يطبخ فيه الكسكس، ويوضع فوق الطنجرة إضافة إلى بعض الوجبات لأخرى كإشارتها

[1] فضيلة الفاروق، تاء الخجل، ص94.

[2] المرجع نفسه، ص38.

[3] عبد الله مزيان، الأبعاد التربوية في عادات وتقاليد أهالي مغنية ونواحيها، رسالة ماجستير في الأنثروبولوجيا، جامعة أبي بكر بلقايد كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، 2003، ص15.

[4] فضيلة الفاروق، تاء الخجل، ص15.

إلى "مقاس"[1]، والتي شرحت معناها في الهامش على أنّها وجبة بربرية تشبه البيتزا حشوتها مكونة من البندورة والبصل والفلفل الأخضر الحار، وقطع من الشّحم المقدّد.

و"المحجوبة"[2] حيث عرّفتها بأنّها فطائر رقيقة تحشى بالبصل والبندورة وأشياء أخرى، كإشارتها أيضا إلى السندويش، في قولها: "وضع ما تبقى من قطعة الساندويش جانبا"[3].

وتعتبر الحناء من عادات وتقاليد المجتمع الجزائري وهي أيضا من مظاهر تزيّن المرأة الجزائرية، وقد وظّفته فضيلة الفاروق في روايتها "تاء الخجل": "نمت ليلة عندها، بجوار لالا عيشة، وطوال الليل كانت رائحة شعرها المخضّب بالحناء تملأ أنفي"[4].

أمّا عن الطّقوس والمعتقدات فنجد مصطلح الرّقى أو الحجاب موظّفا في نفس الرواية لفضيلة الفاروق، ويتضمن اعتقاد العامة باستجلاب الحظّ للرجال وسوء الطالع بالنسبة للنساء، حيث تقول: "أمّا العمّة كلثوم والعمّة نونة فلهما تفسير آخر لهذا النّجاح، فقد كانتا تقولان إنّ سيدي إبراهيم كتب "حجابا" لينجح الذكور، وكتب آخر ليجعل من النساء ربات بيوت"[5].

وفي نفس الرواية يبرز ملمح آخر لهذه المعتقدات، ويتمثّل في تقديس الأضرحة والمزارات، واعتبار مدفونيها أولياء صالحين لهم كرامات وقدرة على قضاء الحاجات، وتنفيس الكروب، لذلك نجد أن الكثير من أفراد المجتمع يتردّدون عليها ويقومون بتنظيفها وتعطيرها، فتقول فضيلة الفاروق: "استوقفتنا امرأة تلتحف الملاءة السوداء، أخرجت زجاجة عطر

[1] فضيلة الفاروق، تاء الخجل، ص75.
[2] المرجع نفسه، ص82.
[3] المرجع نفسه، ص67.
[4] المرجع نفسه، ص20.
[5] المرجع نفسه، ص21.

وراحت ترش بقايا المزار وضريح الولي الصالح "سيدي راشد "تحت الجسر وتتمتم بدعاء..."[1].

ويشكّل التراث المعماري أهمية بالغة لدى الشّعوب، حيث يلعب العمران دورا كبيرا في رقي الأمم وازدهارها، فهو يحمل في طياته تاريخا عريقا يعبر عن ثقافتها من خلال بنائها وزخرفتها وألوانها، ومن الرّوايات التي ذكرت فيها بعض أسماء العمران "سيرة المنتهى عشتها... كما اشتهتني"، لواسيني الأعرج، حيث ذكر المطمورة وهو مكان تحت الأرض يطمر فيه مختلف أنواع الحبوب، وقد استخدم في الثورة التحريرية لإخفاء الأسلحة[2]، كما ذكر في المقطع التالي: "كنت نائمة ليلتها عندها، رأيت جنودا يأتون إلى البيت ويفتحون المطامير ويخرجون الأسلحة". كما ذكر الكاتب في سيرته مكانا يقصده عامة الناس، وهو حمام الوردة الذي يقع في قلب مدينة مغنية، وقد صنع على الطراز التركي، وذلك من خلال قوله: "كان حمام الوردة حماما تركيا ضخما، أو هكذا بدا لي وقتها، مزخرفا بالنقش والزليج والقاشان والزجاج المعشق، الملون، القديم"[3]، وذكر الحوش ويطلق على فناء الدار في نفس الرواية في هذا المقطع: "كانت تقص الفلفل الأحمر في حوش الدار وتنشفه لتحضيره وتحويله إلى بهارات حمارة كانت تبيعها لأسواق مغنية"[4].

[1] فضيلة الفاروق، تاء الخجل، ص38.

[2] واسيني الأعرج ، سيرة المنتهى عشتها... كما اشتهتني، ص121.

[3] المرجع نفسه، ص234.

[4] المرجع نفسه، ص168.

المبحث الثالث : الحضور الأنثوي في النص الأدبي ونسق الفحولة

من أهم المواضيع التي شغلت بال الكثير من الأدباء والمفكرين والروائيين في ميدان الأدب موضوع المرأة، فقد كان لها حضور في الرواية العربية بصفة عامة، والجزائرية بصفة خاصة، فأصبحت محورا أساسيا ومنطلقا فكريا للبوح عن مختلف همومهم، ورسم صورتها في التعبير عن مختلف أفكارهم وتصوراتهم المتعلقة بواقعهم الاجتماعي والاقتصادي، والقضايا الإنسانية المختلفة.

ومن هنا أصبحت المرأة كرمز فنّي يحمل معان ودلالات عدّة، مما جعل الشّعراء والروائيين يهتمون بها في كتاباتهم.

"تختلف مكانة المرأة باختلاف الأمكنة والأزمنة والأطر التي توجد فيها"[1]، حيث تتجلّى هذه المكانة في صور عدّة، حسب حضورها في النص الأدبي.

أولا : الحضور الإيجابي والسلبي

1- الحضور الإيجابي:

"تبدو الرؤية الإيجابية للمرأة بارزة في روايات عدة، فمنذ القديم والرجل يتغزّل بالمرأة ويراها أجمل شيء في الوجود، فالمرأة زهرة الوجود وشذاه وأنواره... وجمالها هو الأسمى والشّوق إليها هو الأقوى والوجد لفقدها هو الأعظم وذكرها هو الأحب وعشقها هو الأبهج، أمّا وصالها فهو الأمنع"[2].

وتظهر صورة المرأة الإيجابية في الرواية الجزائرية (يوميات في بلاد القبائل) لمولود فرعون، "قد حرص الكاتب على توضيح صورة المرأة القبائلية ودورها في المجتمع القبائلي، فالرجل القبائلي يخاف على المرأة ويغار عليها من الأعين كما جاء في قول الراوي حين

[1] رشيد بوشعير، المرأة في أدب توفيق الحكيم، الأهالي للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 1996، ص41.
[2] مجموعة من الباحثين، اشتغال الأنساق المضمرة في الخطاب الأدبي، ص 205.

تحدّث عن شيخ القرية الهرم: تظن بأنه يتبعنا خوفا على ابنتيه. ونحن أيضا نذهب إلى هناك ونرى جميع بناتهم. فالمرأة يجب أن تتوارى عن أعين الرجال غيرة عليها وحفاظا على سمعتها، وهذا لا يعني أن المرأة لا تخرج من بيتها أبدا"[1].

"فالنساء القبائليات لهن مهام يقمن بها كالتوجه للحقول للعمل أو المنبع لجلب الماء أو القيام بالرعي، والراعيات هنّ فتيات صغيرات، يرعين بالماعز ويحرسنه كي لا يفسد حقول التين، إن المعزة يمكنها أن تعول على حارسها شريطة التأكد من ملء البطن وملء الضرع، وهل يعلم الذئب بأنه لا أمل مع البنات أبدا.

أمّا العجائز الكبار فمهمّتهنّ جمع الحطب وحمله، تلتقون في كل الفصول وحملهن يشكل مظهرا رمزيّا لهمٍّ جماعي يشغلهم وحدهنّ، إنّه هم الحطب.

فالمرأة لها فعالية ودور هام في القرية، تساعد الرجل على تجاوز متاعب الحياة ومساعدته في حمل الحطب والرعي وجلب الماء من المنبع"[2].

ونعرض صورة إيجابية أخرى للمرأة في رواية (سيرة المنتهى عشتها... كما اشتهتني)، لواسيني الأعرج، حيث يصوّر جدّته حنا فاطنة، من خلال وصاياها ونصائحها التي سكنت داخله، وعاش كامل حياته وهو متأثر بها، فقد اعتبرها معلمه الأول وأنها سيدة الحكاية "حنا فاطنة كانت قريبة منّي لدرجة التّماهي معها، كانت سيدة الحكاية وهذا وحده كان كافيا لألتصق بها نهائيا، أصبحت أنتظر الليل بفارغ الصبر فقط لأسمع قصص جدي الأندلسي وهي ترويها بطريقتها لدرجة كانت تدخلني بسهولة إلى عالم لم يكن مجرد تخييل، ولكنه كان حقيقة أمامي"[3].

[1] مجموعة من الباحثين، أشغال الأنساق المضمرة في الخطاب الديني، دار خيال، الجزائر، ط1، 2012، ص205.
[2] المرجع نفسه، ص205.
[3] واسيني الأعرج، سيرة المنتهى، عشتها... كما اشتهتني، ص161.

ويواصل واسيني استحضار قصص ونصائح جدته حتى يصل إلى مكان يشبه على حد تعبيره مزارا أو مرقدا صوفيا أين وجدها هناك مع ابن عربي، "ثم رأيت امرأة تتقدم باتجاهي ملفوفة من بياض صاف يكاد لا يرى من شدة نقائه، لم أجد صعوبة كبيرة في التعرف عليها سوى أن قليلا من شيخوختها التي تعودت عليها كان قد اضمحل وحل مكانه بريق جميل في عينيها...، حنا فاطنة التي كانت تشبه أميرة بربرية... لمعان وجهها الذي زاد نورا وبهاء"[1].

ونجد صورة المرأة المثقفة والمتعلمة التي صورها واسيني الأعرج في رواية سيدة المقام من خلال شخصية مريم، إذ لم تكن مثل بنات بلدتها، فقد تربت في العاصمة، فرضت نفسها في مكان تواجدها، و واصلت دراستها وكانت مولعة بالمطالعة وتجيد مختلف الهوايات كالرياضة والرقص، ويظهر ذلك في قول الكاتب: "كنت أقضي وقتي في الدراسة، ووقت آخر في الرياضة وفي تعلم الباليه"[2].

2-الحضور السّلبي:

"عند الحديث عن صورة المرأة في الثقافة العربية، نجد أن كل ما يتعلق بها يخضع إلى السلبية، حيث يلصق بالمرأة كل الآفات والمظاهر الاجتماعية السلبية التي تصيب المجتمع، وكأنها مصدر الشرور ومنبت الآثام"[3].

وتبدو الصورة السلبية للمرأة في رواية (يوميات في بلاد القبائل) لمولود فرعون، "عند حديث الراوي عن سوق الثلاثا، فقد أشار إلى أن السوق خاص بالرجال واستحضر حكاية قديمة لسنا نعرف شيئا عن أصحيتها، يقال فيها أن النساء في الزمن الماضي قد مسكن السوق مسكناه مرة واحدة واستمر سبع أيام وسبع ليال دون أن تحصل معاملة تجارية واحدة،

[1] واسيني الأعرج، سيرة المنتهى عشتها...كما اشتهتني، ص166.

[2] واسيني الأعرج، سيدة المقام، (مراثي الجمعة الحزينة)، دار الآداب، الجزائر، د.ط، 2003، ص77.

[3] مجموعة من الباحثين، اشتغال الأنساق المضمرة في الخطاب الأدبي، ص204.

ومنذ ذلك الحين لم يبق لهن سوى المنبع، هنا يتركن العنان لثرثرتهن التافهة وتبادل آرائهن كما يبدو لهنّ ولوعودهن الكاذبة، ثم العودة لبيوتهن دون أخذ أو عطاء، فالمرأة لديها مهام خاصة بها في المجتمع القبائلي، ويمكن لها أيضا أن تقوم بأشياء هي من صلاحيات الرجل، فعندما ذكر الراوي هذه الحكاية القديمة استحضر بعض الصفات السلبية التي تحتفظ بها الذاكرة الجمعية القبائلية حول المرأة لا تصلح لأي نوع من المعاملات التجارية لأنها لا تجيد سوى الثرثرة التافهة والوعود الكاذبة"[1].

و"تظهر المرأة في صورة سلبية أخرى عندما تحدث مولود فرعون في نفس الرواية عن تيمشرات فقد ظهر فجأة خبر انتشر بسرعة البرق في الخروبة وانتقل إلى بقية القرى المجاورة، وهو أن عنزة بدأت تتكلم وألزمت العشيرة كلها بذبح الحيوانات. ثم إنها ليست عنزة، إنه مولود جديد كانت أولى لعثماته واضحة تماما هلعت والدته فاستدعت طالبا في الحال ، ونقل الخبر إلى الخروبة والقرى المجاورة رجل ملتحي، و كان النسوة وراء كثير من هذا بفضل خيالهنّ الخصب، ولكونهن والحق كن دائما مبشرات لله أو للشيطان، فقد كان للنسوة دور كبير في جعل الوجهاء يقتنعون بهذه الخرافات"[2].

وفي رواية "مملكة الفراشة" لواسيني الأعرج أيضا يعرض لنا صورة سلبية للمرأة مشابهة للصّورة السّابقة، ويظهر هذا في شخصية "ياما" التي تعيش حياتها غير مبالية بالآخرين، فهي تعتقد أن الإنسان يعيش مرة واحدة وعليه أن يستمتع بها حتى لو تخلى عن قيمه ومبادئه، حيث تقول: "هناك حياة علينا أن نعيشها بكل الهبل الذي نعرفه... واختيار الأوقات التي تناسبها متى تشاء"[3].

[1] مجموعة من الباحثين، اشتغال الأنساق المضمرة في الخطاب الأدبي ، ص204.

[2] المرجع نفسه ، ص205.

[3] واسيني الأعرج، مملكة الفراشة، مجلة دبي الثقافية، دار الصدى ، الإمارات العربية المتحدة، دبي، ط1، 2013 ،ص 54،53

أما في راوية "أقاليم الخوف" لفضيلة الفاروق فيظهر الحضور الأنثوي السلبي في شخصية "مارغريت" بصورتين: الأولى هي المرأة الخائنة، فمارغريت خانت زوجها أياد مع صديقها "نوا" وأخفت ذلك، ويظهر هذا في القول: " لم أخبره أنّني خنته خيانة كاملة جسمًا وتفكيرا، فدماؤه الشرقية لن تتحمل ذلك وأنا لم أكن على استعداد لإهدار المزيد من الوقت... كأيّة امرأة عربية أخفيت خيانتي له"[1].

أمّا الصورة الثانية لمارغريت فهي امرأة جاسوسة، عميلة سرية أمريكية أُرسلت في مهمة محددة تمثلت في القضاء على أي مظاهر للتطور في المشرق، ويظهر ذلك في: "جُندت في منظمة النسور السوداء بعد انفجار شرم الشيخ، وأُرسلت إلى الشرق الأوسط، تحت غطاء منظمة نسائية تدعم مشاريع إنمائية، كانت مهمتنا أن نقمع أي بوادر للنهضة في المنطقة، وكنت عنصرا فعالا في مشروع "حقول البذور الذكية"، الذي نجح معنا بشكل مدهش في بيروت، وأردت أن أعرف لماذا فشل في بغداد"[2].

ومن الصور السلبية نظرة المجتمع للمرأة المغتصبة ويظهر هذا في رواية تاء الخجل لفضيلة الفاروق عندما تعرضت يمينة للاختطاف والاغتصاب من الإرهابيين أنكرتها عائلتها: "أخبرني الضابط أن أهلي رفضوا استقبالي من جديد، اتصل بوالدي عن طريق شرطة آريس"[3].

وحتى الضابط كان قاسيا معها من خلال سؤال طرحه عليها، حيث قالت يمينة في الرواية: "سألني الضابط: هل اختطفتُ أم التحقتُ بالإرهابيين لوحدي، تصوري؟" [4]وكأنه لا يكفيها ما عانته" قلت إن الأهل لا يبالون طردوا بناتهم بعد عودتهن"[5].

[1] فضيلة الفاروق، أقاليم الخوف، ص 32.

[2] المرجع نفسه، ص 116،117.

[3] فضيلة الفاروق، تاء الخجل، ص74.

[4] المرجع نفسه، ص 74.

[5] المرجع نفسه، ص59.

ثانيا : الحضور المهيمن (الطاغي)

يتجلّى هذا النوع من الأنساق في كثير من الروايات، ففي رواية تاء الخجل لفضيلة الفاروق نجد خالدة البطلة التي تحدّت العادات والتقاليد البالية، المتمثلة في رفض المرأة المثقفة، فقد كانت تمثل عارا على المجتمع الذكوري، إذا خرجت للدراسة أو العمل أو طوّرت من نفسها، فقد رفضت كل ذلك التهميش والانكسار وخرجت للتعليم لتحقيق طموحاتها الكبيرة التي ترسمها في مخيلتها، وقد تجلّى ذلك في قولها: "سأرى من سينكسر أنا أم هم"[1]. وهكذا مضت في تحقيق ذاتها رغم تهديدات رجال العائلة بكسرها وضمّها لباقي مثيلاتها إلا أنها استطاعت أن تحرر نفسها وتغير من واقعها المزري إلى امرأة ناضجة فكريا تعرف مسؤولياتها وحقوقها وواجباتها كامرأة وذلك بدخولها للعمل في مجال الصحافة والدفاع عن المرأة المهمشة، يظهر ذلك في قولها: "انغمست في العمل الإعلامي، وانضممت إلى جريدة الرأي الآخر"[2].

وفي رواية أخرى بعنوان "الأسود يليق بك" لأحلام مستغانمي نلاحظ أن البطلة هالة تلك المرأة التي حاربت العائلة وأفراد مجتمعها كي لا تبقى مهمشة، و حاولت فرض نفسها رغم المعيقات التي واجهتها، وقد تبين ذلك في المقطع السردي الآتي: "إن المرأة واقفة في حلبة الملاكمة دون أن يحمي ظهرها رجل، ودون أن تضع قفازات الملاكم، أو تحمل في جيبها المنديل الذي يلقى لإعلان الاستسلام، احتمال الخسارة غير وارد لها"[3]، فبالرغم من الألم الذي عاشته والمتمثل في قتل والدها وأخيها، وكلام المجتمع ضدها إلا أنها قررت التمرّد على العادات والتقاليد ومواصلة الغناء على خشبة المسرح، إضافة إلى كونها اليد اليمنى لوالدتها التي واجهت الصعاب لأجل ابنتها وطموحاتها في الحياة.

[1] أحلام بوعلاق، جدلية الأنا والآخر في رواية تاء الخجل لفضيلة الفاروق، مجلة إشكالات تامنراست، الجزائر، العدد12، 2007، ص164.

[2] عبد العالي أحمد الصالح، يوسف العايب، المرأة في الرواية الجزائرية المعاصرة (رواية تاء الخجل لفضيلة الفاروق أنموذجا)، جامعة الوادي، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، مجلد5، العدد4، نوفمبر 2022، ص123.

[3] أحلام مستغانمي، الأسود يليق بك، نوفل، بيروت، لبنان، د.ط، 2012، ص17.

ومن جهة أخرى نجد ربيعة جلطي صوّرت بطلة روايتها "عرش معشق" المسماة بـ نجود بصورة المغتربة المهمّشة بحكم أنها غير راضية بجمالها وجسدها الذي شكل لها عقدة البعد والهجر، فقدت أباها الشرطي الذي قُتل وأمها، ولم يبق لها سوى خالتها العقيم التي ربتها، وبحكم أن المرأة ذاقت كل أنواع العذاب من تحقير وتهميش واغتصاب وتنكيل فترة العشرية السوداء، فقد كانت فترة حرجة في تاريخ الجزائر، حيث ورد على لسانها: "اكتشفت أن لا اسم لي ولا أملك شهادة ميلاد، أو بطاقة شخصية، كلما أعرفه أنني ولدت زمن الإرهاب الأعمى، كان الموت خلال عشريته السوداء يخيّم على كل شيء فلا يستثني أحدا"[1].

ومما لازم البطلة عاهة اغتراب الجسد فقد عانت النقص والضياع، ورد على لسان الروائية قول البطلة الآتي: "لماذا يحدث لي كل هذا، لماذا أنا بالذات لا أرتاح مثل غيري، أنا أريد أن أكبر أن أنمو كمثل الأخريات قليلا، لست على عجلة من أمري ولا رغبة لي في إثارة انتباه أحد"[2]، إذ يبين لنا هذا المقطع نضج البطلة بالرغم من عدم توازنها غير أنها متذمرة مما آلت إليه، فتشكلت لدى البطلة حالة رفض تام لذاتها، بعد الرفض الذي لاقته من البيئة المحيطة بها (أقرانها في المدرسة، وزوج خالتها.. المجتمع بأسره) كلهم يسخرون من شكلها، أدى بها هذا إلى التوقف عن الدراسة... فازداد رفضها لشكلها إلى غاية أنها انصرفت عن عالم البشر وشبّهت نفسها بعالم الحيوان وقد ورد ذلك في قولها: "إن حظّي في الجمال مثل حظ زرافة بأقدام جمل ورأس ضفدع وأنف فيل... باختصار لم تهبني الطبيعة من بهائها شيئا كلما شاهدت وجهي في المرآة أشيح عنه ثم أرجع إليه، من الغريب أني لا أعادي المرآة بل أعود إليها مرات ومرات في اليوم"[3].

[1] رفيقة سماحي، صورة المرأة في الرواية الجزائرية المعاصرة (عرش معشّق)، لربيعة جلطي نموذجا، المدرسة العليا للأساتذة، بشار، الجزائر، مجلة التطوير العلمي للدراسات والبحوث، مجلد3، العدد 12، 2022، ص122.

[2] رفيقة سماحي، صورة المرأة في الرواية الجزائرية المعاصرة (عرش معشّق)، لربيعة جلطي نموذجا، ص122.

[3] المرجع نفسه، ص122.

ولكن سرعان ما يتحول رفض البطلة للواقع إلى حبها وتقبلها لهذا الواقع الذي كان يرفضها وذلك بفعل الحب الذي لقتيه من جارها (عبدقا) فقد أنساها ألمها وقبحها وأعطاها الثقة بنفسها هذا الشاب الوسيم الخجول، فقد أحبها وعوضها نقصها، تقول الروائية: "جراء هذا الحب العاصف تتحول زليخا (نجود) في لمح البصر إلى فتاة مغرية جميلة وتصبح بين ذراعيه ملكة على عرش الجمال، ويتجاوز عبدقا عطب النطق التأتأة قرب هيكل الزجاج المعشق على حافة سريره يلتقط عبدقا يد زليخة، ترجف قليلا تنظر في عمق عينيه، فترى صورتها تنتبه، إنها الوحيدة الجميلة الشهية، فتستسلم مثل حقل يفيض بالقطن وقد يبس في حضن شوكه... نسيت قبح ملامحي وبشاعة جسدي... إني أتماثل للشفاء، الشفاء من الإحساس بالقبح... هو لا يراني بعين القبح وأنا أراه وسيما خالبا وأحس به جميلا وجها وجسدا وعقلا وروحا"[1]. فعلاقتها بعبدقا ونظرته الإيجابية ومعاملته الحسنة لها، إضافة إلى اعتناء خالتها بها بعد أن فقدت أهلها جعلها تشعر بالحب والوجود والجمال وأبعدتها عن الوساوس السلبية التي كادت أن تقضي عليها، حيث تقول الروائية على لسان خالتها (حدهم): "أحببت نجود، ربيتها بكل ما أتويت من قوة وحنان... أدخلتها المدرسة فأبدت نباهة ورغبة في التحصيل والتعليم، وأن مديرة المدرسة أخبرتني أنها قررت أن تجعلها تتجاوز قسمين لذكائها ونباهتها وسرعة تعلمها"[2].

كما قامت البطلة نجود بارتدائها القفطان الجزائري الذي يمثل الأصالة والمحافظة على العادات، محاولة تقليد عارضات الأزياء، إضافة إلى وضعها بعض مساحيق التجميل، في غياب خالتها إثباتا لوجودها، معتقدة بأن هؤلاء العارضات والنساء اللواتي يظهرن على الشاشة يخفين قبحهن بهذه المساحيق، الكحل، الحمرة...

حيث تقول: "في غياب خالتي... وضعت مسحوق التبييض على وجهي وعلى الجزء الأسفل من ذراعي، ورسمت سطرين من الكحل على جفني ومسدت شعري بالملين و

[1] رفيقة السّماحي، صورة المرأة في الرّواية الجزائريّة المعاصرة (عرش معشّق)، لربيعة جلطي نموذجًا ، ص123.

[2] المرجع نفسه، ص123.

وضعت قليلا من الحمرة الباهتة على أطراف أصابعي ثم مسحت بها خدي، وبقلم أحمر غامق مثير رسمته بصعوبة على حواف شفتي"[1].

ولكن في الأخير انتهى بها المطاف رفقة عبدقا للهجرة غير الشرعية إلى الضفة الأخرى.

وفي رواية أخرى لفضيلة الفاروق بعنوان "أقاليم الخوف" نجدها تعرض البطلة مارغريت ذات الأصول العربية والجنسية الأمريكية التي تعرفت على أياد الشاب المسلم البيروتي، فجمعتها به علاقة حب انتهت بالزواج في أمريكا ثم عادت إلى بيروت بهدف الاستقرار وبناء أسرة حيث تقول: "جئت أنا وزوجي أياد الذي قرر العودة نهائيا إلى لبنان، بعد أن قضى سبعة عشر سنة في نيويورك وكنت قد قررت أن أبني أسرة معه"[2]. إذ تعد البطلة مارغريت الذات المركزية التي تهيمن على النص الروائي "أقاليم الخوف" من البداية باعتبار أن ما يهم تمركز الذات هو اهتمام الفرد بذاته وانشغاله باهتماماته الخاصة والذاتية وإهمال الآخر، وعليه فإن البطلة استهلت خطابها بأداة النفي "لا" بهدف فرض تمركزها وحضورها الأنثوي، وموظفة حرف التأنيث المناسب للموقف وقد تجلى ذلك في قولها: "لا أحد يعرف الشرق كما أعرفه أنا. ارتويت بمائه وهوائه وترابه، تذوقته، وتناولته حلوه ومرّه، تنفسته واستنشقت رائحته، عانقته، طوقته، أخذته بين يدي"[3]، هذا النص جازم وقاطع ودال على التعالي والرفعة والتأكيد وقطع الشّك.

وفي مشهد آخر نجد مارغريت تحاول أن تبرز أنوثتها بأسلوب من الإغراء بهدف إثارة تساؤلات عدة من خلال مساءلتها عن خصوصيتها الأنثويّة وعن وعيها إذ تقول: "كنت الأنثى التي نزلت من الجنة إلى الأرض"[4].

[1] رفيقة السّماحي، صورة المرأة في الرّواية الجزائريّة المعاصرة (عرش معشّق)، لربيعة جلطي نموذجًا ، ص123.
[2] فضيلة الفاروق، أقاليم الخوف، ص35.
[3] المرجع نفسه، ص9.
[4] المرجع نفسه، ص9.

كما حاولت البطلة التعبير عن ذاتها من خلال أكلها المحرم ولباسها المكشوف المنافي لعقلية الشرق فتقول: "أكلت الثمار المحرمة رغبة في امتلاك الكون في جنتي تلك، أكلتها وأقلعت بعورتي المكشوفة نحو الشرق"[1].

وهي بهذا تحاول نقل عادات وتقاليد الغرب وغرسها في الشرق المخالف للغرب دينيا وثقافيا، محاولا الكشف عن الأوضاع الأمنية الخطيرة في الشرق، ومن ذلك الانفجار الذي هزّ كيانها إثر الهجوم الانتحاري في شرم الشيخ توفيت إثره والدتها، وإصابة أخوها الوحيد أسعد بإصابة خطيرة مصرحة بذلك في قولها: "إنه الشرق جحيم ما، عقاب ما"[2].

كما نجد أيضا التمركز الأنثوي للروائية من خلال تسمية مارغريت باسم مارية نسبة إلى زوجات الرسول صل الله عليه وسلم، بهدف تقريبها إلى دين محمد عليه الصلاة والسلام، وعزلها عن المسيحية ويتضح ذلك في قولها: "وهي ترفض أن تناديني باسمي "مارغريت" وبعد أخذ ورد ومناقشات بينها وبين شهد اختارت لي اسم "مارية"، فهو أخف لفظا ولا يسلخني عن مسيحيتي ، فهو غير ذلك اسم إحدى زوجات نبي الإسلام محمد الذي حين يُذكر اسمه يرفق بترديد الصلاة والسلام عليه"[3].

ثالثا : ثنائية المركز والهامش

رسخ المجتمع مجموعة من القوانين والضوابط التي قلّلت من قيمة المرأة عبر التاريخ انطلاقا من نظرة أن "النساء مستبعدات عن كل الأمكنة العامة، مجلسا وسوقا... فالنساء اللواتي يخضعن لعمل تنشئة اجتماعية تنحو إلى تصغيرهن وإنكارهن، يتمرسن على الفضائل

[1] فضيلة الفاروق ، أقاليم الخوف، ص9.
[2] المرجع نفسه، ص9.
[3] المرجع نفسه، ص14.

السلبية في التفاني والخنوع والصمت... وهنّ معرضات دوما للإهانة إذا كنّ ضعيفات ومثلهن مبادئ الضعف باعتبارها تجسيدات لهشاشة الشرف والحرمة"[1].

وظلّ وضع المرأة هامشا عبر التاريخ الذي كشف ما تعرضت له من مختلف أنواع الاضطهاد والظلم والإقصاء والتعنيف... فقد أجبرت على الخضوع لإرادة الرجل، رغم أن المرأة منذ فجر التاريخ حتى اليوم قد برهنت على ذكاء عظيم ودقة إحساس تثير الإعجاب، ولقد ظهرت في ميادين النشاط الفكري شاعرة فياضة بالوحي الإلهي وناثرة قديرة على إيقاظ أنبل عواطفنا الإنسانية واستطاعت أن تكون رئيسة وحاكمة وقائدة جيوش وسياسية محنكة.."[2].

وقد تجسدت ثنائية المركز والهامش بوضوح في علاقة المرأة بالرجل في المجتمع الجزائري، فهو مجتمع ذكوري بامتياز، حيث منعت النساء من الخروج إلى الشارع في سنّ مبكرة خوفا عليهن، وحرمت من مواصلة تعليمها والعمل، وجعلت في أسفل الترتيب على عكس الرجل الذي حاز مركز القوة والسلطة التي مارس من خلالها سيطرته على المرأة وضيق الخناق عليها.

وقد تجلت ثنائية المركز والهامش في الأعمال الأدبية وعلى وجه التحديد في روايات عديدة، سنتطرق إلى نماذج منها منطلقين من المركز إلى الهامش.

1-المرأة المركز:

نجد المرأة في روايات عديدة فرضت رأيها وحضورها وقوّتها على من حولها وسنذكر بعض النّماذج التي تثبت ذلك رغم نظرة المجتمع (الذكوري) لها وحطّه من قيمتها.

[1] بيار بورديو، الهيمنة الذكورية ، ترجمة سلمان قعقراني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص 81،82،84.

[2] محمد بدر معبدي، أدب النساء(في الجاهلية والإسلام)، مكتبة الآداب ، مصر، د.ط، د.ت، ص 10.

ففي رواية "أقاليم الخوف" لفضيلة الفاروق، تبدو شخصية شهد أخت أياد في مركز القوة فهي تمثل القوة المعارضة في الرواية فهي تقف في وجه مارغريت وتحاول عرقلة مساعيها، إذ تتميز بقوة شخصيتها وسيطرتها على جميع أفراد العائلة "أعطيت شهد صلاحيات كثيرة في العائلة فرأيها جد مهم قبل اتخاذ أي قرار بالنسبة لكل أفراد العائلة على الرغم من أنها أنثى وهذا نافى تماما الفكرة التي كونتها عن النساء العربيات"[1]. وترجع البطلة مارغريت سبب نفوذ شهد إلى "ليس فقط لقوة شخصيتها بل لثراء زوجها، الحاج عبد الله الذي منحها سلطة المال، فهو تاجر وله عدة محلات في كل نواحي لبنان للألبسة الرجالية..."[2].

تحاول شهد السيطرة على مارغريت بمظاهرها الخداعة وإرغامها على إلزامية اللباس داخل العائلة والدخول في الإسلام فتقول: "لا تكف عن إلقاء درسها المملّ عن محاسن الإسلام ودعوتي إلى اعتناقه وهي كلما دخلت عليها أحضرت لي قطعة من الثياب هدية، وتحرص أن تكون القطعة محتشمة، بكمين طويلين وطول يغطي ما تحت الركبتين"[3]، و"أنها تغطي رأسها بمنديل، وترتدي معطفا طويلا يغطي كامل جسدها، وجوارب صيفا وشتاء، ولكن المنديل من الحرير الفاخر، الذي يحمل توقيع أهم مصمم أزياء في العالم..أمّا مجوهراتها فلو بيعت في مزاد علني لحلت مشاكل أطفال المخيمات والأحياء الفقيرة كلها في لبنان"[4].

فتحكم شهد في عائلة آل منصور يخالف واقع الشرق ومكانة المرأة فيه.

ونعرض نموذجا آخر للمرأة المركز وتمثّله شخصية مريم (المرأة المتحدّية) في رواية "سيدة المقام" لواسيني الأعرج، حيث تعتبر مريم الشّخصية المحورية التي تدور حولها أحداث

[1] فضيلة الفاروق، أقاليم الخوف، ص 14.
[2] المرجع نفسه، ص14.
[3] المرجع نفسه، ص13.
[4] المرجع نفسه، ص14.

الرواية، فهي "طفلة تائهة في اتساعات القرى، والمدن... سيدي بلعباس، امرأة يأكل الجنون حاضرها وغائبها، امرأة غير متزنة"[1].

فمريم تلك البنت الجامعية راقصة باليه تحبّ الرقص بجنون وتسعى إلى تجاوز قريناتها اللواتي تراهنّ تقليديات، فقد ضربت بالعادات والتقاليد عرض الحائط، رغم أنّ المجتمع يرفض أي ثورة من طرف المرأة.

وها هي تبرز سبب قبولها الزواج في قولها: "في الحقيقة لم أملك جوابا قطعا قلت لم لا؟؟ سأفكر، كنت أتمنى أن أخرج من هذا البؤس دون أن أفقد أمي ... وتقول أيضا: يبدو لي أن الزواج في هذه المدينة هو إعلان مسبق عن حالة إفلاس باطنية"[2].

ومن صور المرأة المركز نجد المرأة الثورية المجاهدة نورة والدة بوعلام وخالة البطلة نجود في وراية "عرش معشّق" لربيعة جلطي، فقد كانت شخصية نورة تمثّل الماضي المجيد، ماضي الثورة والانتصار على العدو الفرنسي، تحلّت بالشّجاعة والتّضحية وحب الوطن والدفاع عن الأرض وعرفت بروح الانتماء والتمسك بهويتها، ضحّت بتعليمها وثقافتها مقابل مساعدة المجاهدين في الجبل فكانت ممرضة ورفضت مكانتها المهمشة سابقا فتقول الكاتبة: "صالت نورة وجالت بعد أن بدأت مهماتها بسيطة بتمريض الجرحى من المجاهدين والاعتناء بهم حتّى يستطيعوا العودة إلى الجبهة في معاركهم ضدّ الاحتلال الفرنسي"[3].

وننتقل إلى رواية "الرماد الذي غسل الماء" لعز الدين جلاوجي حيث تظهر شخصية عزيزة الجنرال امرأة قوية عنيدة منعدمة المشاعر، صارمة متسلطة، لا تهتم بالفقراء لأنّها من طبقة برجوازية وتتلاعب بالسلطة في مدينة عين الرماد، فرأيها قائم على المجتمع والكل يلجأ

[1] واسيني الأعرج، سيدة المقام، ص79.

[2] المرجع نفسه، ص102.

[3] المرجع نفسه، ص101.

إلى عزيزة في أي أمر هي تعرف الجميع تمد خيوطها السحرية فإذا الحق باطل والباطل حق، وقد سمّاها الناس الجنرال لقوتها ولعلاقاتها بالجنرال صاحب ملهى الحمراء"[1].

أصبحت عزيزة قوية بعد معاناة الضياع والتشرد وفقدان أمّها وسجن أبيها فانتصرت على كلّ هذا لتملك كلّ شيء وتتسلط على كلّ شيء في عين الرماد كالملكة تحولت من "مضغة الشفقة إلى إعصار للرفض والتحدي، وخاضت في لجة الحياة حتى استوت سيدة للمجتمع، وخصوصا بعد اقترانها بسالم بوطويل وضمّها الثروتين معا في قبضتها"[2].

أثّر مقتل أم عزيزة فيها لدرجة أنّها ترغب بشدة في الانتقام من كلّ الرجال وتلعنهم بشدة لكرهها لهم فتقول: "أمّك خير من ألف رجل واللعنة على كل الرجال"[3].

وتسلطت على سالم بوطويل زوجها فجعلته تعيسا محطما، كتمثال لا يستطيع التنفس دون إذنها، حتى أنه تمنى قتلها، "ابتلع سالم ريقه وتمنى لو مدّ أصابعه فخنقها.. من أي طينة هذه المرأة اللعينة؟ وأي قدر رماها في طريقه؟ كيف تفكر؟ ولماذا بهذا المنطق تفكر؟"[4]

2-المرأة الهامش:

أعطى المجتمع الجزائري خاصة الريفي أحقية التّعليم والعمل والسّلطة للذكر فقط، وحرم المرأة أبسط حقوقها، فقلائل هنّ من حظين بفرصة الالتحاق بالمدارس ومواصلة دراستهنّ، فقد تمّ تهميش المرأة وإقصاءها وقهرها وتعنيفها.

وقد مثّلت فضيلة الفاروق في روايتها "تاء الخجل" للمرأة الهامش التي جسدتها شخصية "ريمة النجار" ذات الثماني سنوات، حيث تعرضت للعنف البشع من قبل والدها المتسلّط الذي رماها من أعلى الجسر لأنّها تعرضت للاغتصاب من قبل رجل في الأربعين من

[1] عزالدين جلاوجي، الرماد الذي غسل الماء، دار المنتهى للطباعة والنشر، الجزائر، دط، 2016، ص69.
[2] المرجع نفسه، ص69.
[3] المرجع نفسه، ص155.
[4] المرجع نفسه، ص40.

عمره، بغية تخليص نفسه من عار اغتصابها، "اكتشفت أن الوالد هو الذي رمى بابنته من أعلى الجسر.. قال إنه خلصها من العار"[1].

وكذا في شخصية يمينة التي تعرضت للاختطاف والاغتصاب والعنف النفسي من قبل والدها الذي تبرأ منها رغم أنها اختطفت أمام عينه، لكنه أهملها وتركها في المستشفى دون رحمة ولا شفقة، فقد صرحت يمينة بقولها: "أخبرني الضابط أن أهلي رفضوا استقبالي من جديد، اتصل بوالدي عن طريق شرطة آريس، بكت قليلا ثم أردفت: أنكر في البداية أن له بنتا"[2].

وفي رواية أقاليم الخوف تصوّر فضيلة الفاروق شخصية شمائل الهامش وهي الأخت الثانية في عائلة آل منصور، فهي سيدة قوية معتمدة على نفسها وليست بحاجة أحد، "شمائل مختلفة تماما عن شهد، ربما لأن زوجها رجل عادي ولا حول ولا قوة... بالنسبة لآل منصور، زوج شمائل وصمة عار في تاريخ العائلة، مع أن الرجل متدين ومحترم ومثقف ولا يخون زوجته، شمائل بالمقابل سيدة تشبه النساء العاديات ولا شيء يميزها، سوى أنها سيدة قوية تعتمد على نفسها وليست بحاجة أحد"[3].

وتجسّد الهامش أيضا في الراوية ذاتها في شخصية أم خالدة التي تركها الأب وسافر بعيدا، ونظرة العائلة إلى الأم التي يضربها زوجها ضربا مبرحا، "ويمسكها من شعرها أو يرغمها على الركوع أمام قدميه ويردد... "حتى تموتي.. حتى تموتي"[4].

---

[1] فضيلة الفاروق، تاء الخجل، ص11.

[2] عبد العالي أحمد الصالح، يوسف العايب، المرأة في الرواية الجزائريّة المعاصرة (رواية تاء الخجل لفضيلة الفاروق أنموذجًا)، ص116-131.

[3] فضيلة الفاروق، أقاليم الخوف، ص12.

[4] فتيحة طويل، سعاد طويل، المجتمع البطرياركي، ومعاناة المرأة قراءة في رواية فضيلة الفاروق، مجلة إشكاليات في اللغة والأدب، مجلد رقم8، العدد05، 2019، ص507.

وقد صّور واسيني الأعرج المرأة الهامش في شخصية المرأة المضطهدة التي لا علاقة لها مع المحيط الخارجي لكونها منحصرة في بيتها تحت سلطة الأب والزوج ووالديه وحياتها بين الإنجاب وأعمال البيت والسّهر على راحة زوجها وأهله ويظهر هذا في المقطع الآتي: "اليوم يجينا خو زوجك، كوني امرأة ونص، يسكن المدينة يا بنت الناس... هو لم يتزوج ونتي عمرك مازال في النور، أمي عاجزة ومستسلمة كانت تريد أن تقول لها من الصعب عليّ أن أدخل سريرا ينام فيه أخوان، لكن القرية هكذا كانت نائمة بعمق في طقوسها المعادية للعاطفة وللفرد. قرأت لالة حلومة كل شيء في عينيها. قالت لها... امرأة ما عندك والي وأنا و سيدك كبرنا كل الناس داروها خضراء القبايلية، عيشة بنت النخلة كيف كيف، وأنت ما كاين حتى باس وإلا عيب"[1].

وتظهر في الرواية نفسها شخصية مريم التي تزوجت حمزة وتحولت حياتها إلى سجن، حيث تقول: "كان دائما يتلو القرآن ويذهب إلى المسجد، ويصحب معه الكثير من الكتب، وعندما يعود لا يتكلم معي وهذا الشيء هو الذي حيرني فيه، كانت نظرته تخيفني، وتشعرني بالملل، لكن كل هذا لا يخفي الحقيقة الكاملة التي كانت تدور في ذهنه، حيث كان يحمي نفسه ولكن المرأة في نظره هي بمثابة بقرة أو عنزة، فعندما ضرب زلزال العاصمة لم أكن في البيت وعندها طلب من أمي أن لا تخرج حتى وإن تهدمت الحيطان"[2].

رابعا : نسق الفحولة

عندما نتحدث عن الحضور الأنثوي، لابد أن نتطرق إلى نسق الفحولة أو الذكورة الذي يعدّ من أكثر الأنساق الثقافية حضورا في الرواية العربية، ويعود ذلك إلى البيئة العربية التي تركت أثرها على المخيلة العربية بكل ما تحمله من معاني الخشونة والصلابة والفحولة، كما يرى عبد الله الغذامي بأن الفحولة "نسق منغرس في الوجدان الثقافي، مما ربّى صورة

[1] واسيني الأعرج، سيدة المقام، ص71، 72.

[2] المرجع نفسه، ص87، 88.

الطاغية الأوحد (فحل الفحول)[1]"، وقد تجلّى هذا النسق في عدة روايات منها رواية "يوميات في بلاد القبائل" لمولود فرعون، فعندما يتحدث الراوي عن شخصيتيّ لمين والربوي يجسد فيهما معالم الرجولة والاحترام، فلمين رجل كيّس وجميع من في الحي يعتز به وهو جدير بكل تقدير، أما الرّبوي فقد كان محل تقدير لأن المستدينين يخشونه، "فقد كان رجلا ذكيا يعرف الأفراد معرفة جيدة ويخمّن ما توسوس به صدورهم"[2].

"وللمين والربوي مقعدين خاصين في تاجماعت، ولقد كانت تاجماعت قديما رمزا للأخلاق والرجولة والفحولة، ويبدو ذلك من خلال الحوار الذي دار بين أحمد أحد كبار الحي مع الراوي، تأتي لتاجماعت لتتصرف تصرف الرجال وتتكلم كلام الرجال، وننظر إلى الآخرين نظرة رجال: تنظر للأخ وللصديق وللعدو، نأتي لنستمع إلى الشيوخ ونعلّم الشباب نأتي لنثبت وجودنا... إنّ تاجماعت هي شرف الخروبة ومصدر الكلمات الموزونة والأفعال الرجالية . فالفحولة متأصّلة في الفرد القبائلي منذ الصغر ويتابع الراوي كلامه عن الرجولة ويربطها بالزمن الماضي أكثر من الحاضر، فقديما لم يكونوا يطردون الصغار من مجالس تاجماعت بل كانوا يجلسون بالقرب من الكبار بهدوء للاستماع، وهذا دليل على أن الطفل الصغير كان يحسّ بالمسؤولية منذ نعومة أظافره"، أتذكر بطبيعة الحال، كنت رويجلا قويا وعاقلا، رويجلا يقضي ساعات طوال بين شيطانين كبيرين يسمع لكلامهما"[3].

كما ورد هذا النسق كثيرا في رواية طير الليل لعمارة لخوص، فنجد الراوي يروي على لسان الشخصية البطلة المتمثلة في ميلود صبري المدعو بطير الليل فهو يمثل شخصية مهمّة في السلطة، فقد كان مكابرا وظهر هذا في قوله: "لا يريد أن يقضي بقية عمره يتوكّأ على عصا أو يمشي كالأعرج، لا يريد شفقة الأصدقاء، أو شماتة الأعداء"[4]، ويتجلّى النسق

[1] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافيّة، ص94.

[2] مجموعة من الباحثين، اشتغال الأنساق المضمرة في الخطاب الأدبي، ص203، 204.

[3] المرجع نفسه، ص203،204.

[4] عمارة لخوص، رواية طير الليل، دار حبر للنشر، الجزائر، ط1، 2019، ص11.

الذكوري في رفضه للانكسار والشفقة من الآخرين، ويعود ذلك إلى الثقافات العربية السابقة التي اعتبرت الانكسار ضعفا بالنسبة للرجل، "حظي الذكر بالأصالة والغلبة ومنيت الأنثى بالفرعية والاختزال... فالرجل ظل في المقدمة يرفل بالقوة والسّؤدد، فيما اقترنت المرأة بالضعف والغدر والجبن"[1].

ونلمس أيضا نسق الفحولة في رواية "الغجر يحبون أيضا" لواسيني الأعرج، في شخصية خوسي أورانو الرياضي الذي يعشق مصارعة الثيران له شعبية كبيرة بين سكان وهران ومحبوب لدى الجمهور خاصة النساء، وهو من أصول أندلسية يرى في مصارعة الثيران تعبيرا عن ثقافة يفتخر بالانتماء إليها، فقد جاء في الرواية: "كنت مدهشا اليوم يا خوسي، ساحرا في حركاتك، أستطيع أن أفتخر أن لي صديقا عظيما في رياضة لا أحبها كثيرا لكنها مدهشة بأناقتك ورجولتك"[2].

ويظهر نسق الفحولة في رواية "أقاليم الخوف" في علاقة أياد بزوجته مارغريت وكأيّ رجل شرقي لم تتعد علاقته ونظرته للمرأة حدود الجسد، خاصة أن المرأة الغربية تعتبر موضوعا مثاليا للجنس، فهي الأنثى التي يفترض من قبل الرجل الشرقي دائما أنها مباحة وقد أكّدت مارغريت ذلك في قولها:" أياد الذي عشت معه أحلى أيام... في نيويورك، والذي عاشرته وساكنته ثلاث سنوات قبل أن نتزوج، غير أن هذا الفكر الذكوري المنفتح المتأثر بالثقافة الغربية، تغيّر بعد زواجها واستقرارها في لبنان مع عائلة أياد لتصطدم بواقع آخر، وتكتشف أياد الرجل الشرقي ذو الفكر الذكوري السلطوي، لتجد نفسها محاطة بمؤسسة ذكورية تفرض عليها ضوابط وقيود يجب أن لا تتخطاها"[3].

---

[1] عيسى برهومة، اللغة والجنس، حفريات لغوية في الذكورة والأنوثة، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2002، ص88.

[2] واسيني الأعرج، الغجر يحبون أيضا، دار بغدادي للطباعة والنشر، ط2، نوفمبر2019، ص77.

[3] عامو عمارة، شريف بموسى عبد القادر، ثنائية الذكورة والأنوثة في رواية أقاليم الخوف لفضيلة الفاروق. مجلة النص، مجلد9، العدد3، 2022، المركز الجامعي مغنية الجزائر، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، ص321، 322

الفصل الثاني

دراسة الأنساق الثقافية في رواية

"وادي الحناء" لجميلة طلباوي

المبحث الأول: النسق الديني والهيمنة الناعمة

المبحث الثاني: النسق الاجتماعي

المبحث الأول: النّسق الديني والهيمنة الناعمة

أولا: الزّاوية والخطاب الديني

للزّاوية مكانة مقدّسة في منطقة "تيمي" ويمثّلها شيخ الزاوية وزوجته لالة حليمة، فالزّاوية تمثّل قطبا ومرجعا هاما في حفظ القرآن الكريم، وطلب العلم والاعتماد على النفس والعمل النافع، كما ورد في هذا المقطع: "أما تلاميذ الزاوية فهم أبناء عائلات لها مكانتها الاجتماعية، جاؤوا إلى الزاوية لطلب العلم، وفي أوقات فراغهم وكي لا يضيعوا الوقت يحرص الشيخ على تشجيعهم للنزول إلى الجنان التي هي عبارة عن وقف أهداه بعض أعيان المدينة للزاوية، هدف الشيخ من هذه العادة أن يعلّم تلاميذه الاعتماد على النفس، وأن يكونوا منتجين ينفعون مجتمعهم وأهلهم. كان التلاميذ يساعدون الخدم المكلفين بتقليب الأرض والحرث وجني المحصول"[1].

وتعتبر الزاوية مدرسة دينية ثقافية، حافظت على الهوية الإسلامية العربية وعلى تاريخ "تيمي" وأصالتها، ويحظى شيوخها وعائلاتهم بمكانة مرموقة في المجتمع، لقول الروائية: "تيمي التي تزدان بالزوايا هي منارات علم حفظت لتيمي تاريخها وأصالتها، وهي مراكز إشعاع ثقافي ديني يحفظ التلاميذ على مشايخها القرآن الكريم، ويدرسون الفقه واللغة العربية الفصحى، وما كان يثير فضول عويشة منذ الصغر هو تلك المكانة الجليلة التي يحظى بها شيوخ الزوايا وزوجاتهم وأبنائهم في وجدان السكان"[2].

وقد تعدّت مكانة الزاوية حدود "تيمي" لتحظى بمنزلة عالية لدى السّلطة، حيث زارها رئيس الجمهورية، وحظي باستقبال كبير من شيوخ الزاوية، :"أذكر بأن زيارة الرئيس لم تكن

[1] جميلة طلباوي، وادي الحناء، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2018، ص59.

[2] المرجع نفسه، ص84.

رسمية لمجموعة من زوايا "تيمي" في مقدمتها زاوية سيدي الشيخ الذي قيل عنه أنه استقبل الرئيس أحسن استقبال، كما يفعل مع كل ضيوفه، مقتديا بالعلامة سيدي محمد بلكبير"[1].

أمّا شيخ الزاوية باعتباره الرجل الأوّل في الزاوية فإنّ مكانته العظيمة انبثقت عن صفاته الحسنة وهيبته، فقد كان تقيا ورعا زاهدا نزيها، بشوشا خادما للدين، "الخوف من الله والتقوى والزهد، كلها كانت صفات الشيخ مقتديا بشيخ الزاوية الكبيرة شيخ أدرار وعلمها الأشهر الشيخ سيدي محمد بلكبير، الذي كان مثالا للنزاهة و الحياد وخدمة الدين الإسلامي الحنيف"[2].

وتظهر لنا مكانة الشيخ عند أهله وخدمه من خلال قول عويشة: "أذكر أنّني كنت لا ألبث وأنا أعيش نشوة اللعب مع رفيقاتي حفيدات الشيخ، حتى أشعر بحركة غريبة في القصر، تسرع الخادمات تهمسن بكلام لم أكن أفهمه للنّساء اللواتي يكنّ في البيت بأن يغطين رؤوسهنّ بمناديل، وبأن تلتزم كل امرأة مكانها، القريبات والصديقات يدخلن إلى غرفة الاستقبال في الجناح الخاص بلالة حليمة، والضيفات يلتزمن أماكنهنّ في جناح الضيف وتقف بنات الشيخ وأبناؤهن في صفّ واحد والخادمات في صفّ، كما تأمر رئيسة الخادمات الخادمة زازة الأطفال بالتوقف عن الجري واللعب، تسكن الحركة وتنتظم الصفوف، وما هي إلا لحظات حتى يخرج الشيخ من خلوته كملاك حطّ من السّماء بلباسه الأبيض، ومحياه المشرق نورا وابتسامته التي تعكس طيبة قلبه، وتشع لحيته نورا لشدة بياضها، فيبدو لي كأنما هو رجل من الضياء"[3]، أظهر هذا المقطع الاحترام والتقدير الذي يكنّه أهل الشيخ وخدمه له.

كما تميّز الشيخ بطيبته وحنانه وحسن معاملته مع أهله وخدمه، ومن ذلك قول عويشة: "كنت أوّل من تجري نحوه وأنا ألمح في طرف من برنسه الأبيض الحلوى، فيعطيني نصيبي كما يعطي لكل الأطفال الموجودين في تلك اللحظة، نصيبهم من الحلوى وهو يمسح على

[1] جميلة طلباوي، وادي الحنّاء، ص59.

[2] المرجع نفسه، ص60.

[3] المرجع نفسه، ص95، 96.

رؤوسهم بحنان دافق ويدعو لهم بالحفظ، ثم يمرّ إلى الصفّ الذي تقف فيه ابنتاه وأولادهما، يسارعون لتقبيل رأسه ويده، فيبتسم بحنان الأب، وهو يمشي معهم إلى جناح ابنته الكبرى، يجلس إلى ابنتيه وأبنائهما، يستمع إلى أخبارهما ويتفقد أحوالهما وأحوال أبنائهما، يسأل كل واحدة عن حالها مع زوجها، يدعو لهما، فيقبّلن يده، يدسّ في أيديهن مبلغا من المال هو عطية وصلته من أحد رواد الزاوية، لينصرف بعد ذلك إلى الخادمات يسألهن عن أحوالهن ويطمئنّ على صحّتهم وأحوال أهاليهن، ثم يدعو لهن بالخير.

وبالمقابل ترفع الخادمات أيديهن بالدعاء له بطول العمر ويشكرنه على كرمه معهنّ، يوزع عليهنّ بعض القطع النقدية ثم يغادر"[1].

رغم طيبة الشيخ ولين جانبه إلا أنّه صارم في بعض المواقف، ومنها موقفه تجاه ابنه السّي عثمان عند تغيّبه عن الدرس، فقد عاقبه على فعلته "كانت لالة حليمة تعرف بأن عقوبة فعلة السّي عثمان كبيرة، وبأنّه لا يمكنها أن تشفع له عند الشيخ حين يبلغه الطلاب الذي يدرسهم القرآن بأنّ ابنه الوحيد تغيّب عن الدرس، حدث ذلك أكثر من مرة، حين أشفقت لالة حليمة على حاله وأبقته معها في جناحها، وما هي إلا ساعة حتى جاءت الخادمة لتخبرها بأنّ الشيخ بعث أربعة تلاميذ من الزاوية ليحضروا السّي عثمان لينال العقاب الذي يستحق... بكى يومها الصغير عثمان، بمرارة والخادمة تسحبه من يده وتسلّمه للتلاميذ اقتادوه إلى الداخلية"[2].

لم تقتصر مكانة الشيخ الرفيعة على أهل بيته فحسب، بل كان محترما ومهابا من تلاميذه وأتباعه، ويظهر ذلك في المقطع: "ظنّه بحّوص، للوهلة الأولى وهو يراه يخرج من خلوته ملاكا هبط على الأرض لشدّة بياضه وبياض ثيابه وبياض لحيته، لكنّه عرف فيما

[1] جميلة طلباوي، وادي الحناء، ص96.

[2] المرجع نفسه، ص80، 81.

بعد بأنّه شيخ الزاوية، وبأنّه سيلتقى على يديه المباركتين أصول التربية، وأنّه سيحفظ القرآن الكريم، وقد يصبح عالما في المستقبل"[1].

يعتبر شيخ الزاوية مصدر البركات والكرامات في قريته، حيث يتسابق الجميع في التقرب منه بالعطايا والهدايا أملا في الدعاء لهم بصفته مقبولا عند الله، كما جاء على لسان عائشة: "انتبهت رغم صغر سني إلى أنّ معظم المقتنيات التي ملأت بها الخادمة فَانّة القفة كانت مجرّد هدايا وعطايا من تجار السوق ولم تدفع مقابلا لها دينارا واحدا، فكلّما أقبلت على محل تجاري إلا واستقبلها صاحبه بترحاب حار وهو يردّد: مرحبا بخدّام الشيخ فيعطيها حاجتها ويضيف عليها هدية لسيدي الشيخ وأهله وهو يقول: قولي لسيدي الشيخ يدعي معانا ... وفي أحيان أخرى عندما يقدّم التاجر هدية للشيخ ويضيف عليها هدية أخرى لها وهو ويقول: وهذي ليك، قولي لسيدي الشيخ يدعي لي ، كانت أساريرها تنفرج وهي تردّد قائلة: يرحم الوالدين، حاجتك مقضية إن شاء الله"[2]، حيث يظهر لنا هذا المقطع حرص تجار تيمي على التقرّب من الشيخ لنيل بركاته، وهذا ما تحرص عليه أيضا النسوة في منطقة تيمي ، فنجدهنّ يتسارعن في تلبية دعوة لالة حليمة لهنّ لمساعدتها في بعض الأعمال مثل فتل الكسكس كي تنالهنّ البركة من سيدي الشيخ، "كنت أرافقها إلى بعض العائلات في تيمي لتُعْلِمَ ربات البيوت عن موعد فتل الكسكس بقصر سيدي الشيخ. وكلّما وقفت أمام باب إلا و نادت مالين الدار، فيخرج من في البيت لاستقبال خادمة سيدي الشيخ، لعل أهل سيدي الشيخ يكونون بحاجة إلى مساعدة، تشكرها السيدات وهن يرفعن أيديهن بالدعاء لسيدي الشيخ ويعدنها بأن يكنّ في الموعد... العائلات في تيمي ترغب في التطوع للقيام ببعض الأعمال في بيت سيدي الشيخ كي تنالها بركته، وتصلح لهنّ الذرية ويبارك الله في أرزاقهم"[3].

[1] جميلة طلباوي، وادي الحنَّاء، ص81، 82.

[2] المرجع نفسه، ص57.

[3] المرجع نفسه، ص55.

أمّا عن لالة حليمة فلا تَقِلُّ مكانتها عن مكانة سيدي الشيخ فقد كانت حافظة لكتاب الله، وعلى قدر من العلم والجمال حكيمة الرأي، "كما سمعت عن جمالها وحكمتها وعلمها وحفظها للقرآن الكريم"[1]، ويظهر تمسّكها بالدين في عدم مفارقة المسبحة ليديها"، تنهدت لحظتها لالة حليمة وهي تمسك السبحة بيدها"[2].

كما كانت طيبة، حنونة، تحسن معاملة غيرها، وقد ظهر هذا في معاملتها لأبناء زوجها فقد كانت لهم أمّا رغم حرمانها من الأمومة كما جاء في الرواية: "فزوجة شيخ الرواية جاءت إلى القصر الكبير بعد وفاة زوجته الأولى التي أنجبت له ابنتين وذكرا وحيدا، احتضنتهم وسهرت على تربيتهم فصاروا ينادونها بـ(أمي) لقب منحها صبرا كبيرا على حرمانها من الإنجاب لقب (أمي) الذي منحه لها أبناء سيدي الشيخ لالة حليمة، كان بسبب حبّها الصادق لهم"[3].

كما ظهر أيضا في مواساتها لعويشة التي أحبّتها مثل ابنتها عندما حدّثتها عن مرض والدتها "حاولت مسح دموعي وأنا أخبرها عن مرض والدتي، كانت لالة حليمة تنصت إليّ والقلق يتسرب إلى وجهها الملائكي، صحيح أنّها حاولت التهدئة من روعي وهي تقول لي: لا تخافي يا بنتي، رحمة الله واسعة"[4]. فاستدعت لالة حليمة الطبيبة ريم للاطمئنان على صحة لالة مريم: "ابتسمت لالة حليمة وهي تقول لوالدتي بأنّها ستستغل وجود الطبيبة ريم لتكشف عليها من باب الاطمئنان على صحتها"[5].

وكانت لالة حليمة همزة وصل بين شيخ الزاوية ونساء القرية وضيوفها، حيث كانت تنقل انشغالاتهن للشيخ، وتسمع همومهنّ، وتحاول التّخفيف عنهنّ وطمأنتهنّ بإيصال

[1] جميلة طلباوي، وادي الحنَّاء، ص79.
[2] المرجع نفسه، ص60.
[3] المرجع نفسه، ص79، 80.
[4] المرجع نفسه، ص122.
[5] المرجع نفسه، ص124.

طلباتهنّ للشيخ كلّ حسب وصيتها (الشّفاء، الفرح، الذرية الصالحة، الزواج..)، فقد ورد في هذا المقطع: "أمّا لالة حليمة فكانت ترحب بضيفاتها بحرارة وبابتسامتها الجميلة والنساء القادمات من مختلف أنحاء الوطن يعبّرن لها عن سعادتهن برؤيتها، فيحكين لها سبب زيارتهنّ لهنّ وهنّ يترجّينها أن تنقل طلباتهنّ إلى الشيخ، وكانت أغلبها أن يدعو الشيخ لهنّ الله أن يفرّج كربهنّ وأن يحقّق لهنّ أمانيهنّ، كانت الواحدة منهنّ تسرد همومها للالة حليمة بكلّ طمأنينة وكأنّها وصلت إلى مرفأ الأمان، فتسمع إليهنّ لالة حليمة باهتمام، تواسيهنّ، وترشدهنّ، وتوصيهنّ بالصّبر واللّجوء إلى الله فرحمته واسعة، كانت لالة حليمة بحنان كبير وطيبة ونبل تعدهنّ بنقل طلباتهنّ للشيخ بأن يدعو لكل واحدة منهنّ حسب وصيتها"[1].

وفي تعبير آخر "وبتبليغ السيدات اللواتي كلفنها بأن تقول للشيخ أن يدعو لهنّ الله ليرزقهنّ الزوج أو الولد، أو ليشفيهنّ، أو يشفي أحد أقاربهنّ بأنّها فعلت... ورحنّ يقبلنّ رأسها ويدعين للشيخ بطول العمر وهنّ يطلبن من الله أن تحلّ عليهنّ بركته"[2].

ثانيا : عويشة:

" لقد أثبتت الروائية بتفاصيل حكايتها، وسردها لقصة عويشة (وريقة الحنَّاء) أنّ هذه الشخصية تتميز بنظرة ثاقبة وذكاء منقطع النظير منذ بداياتها، إنّها شخصية معبرة عن الواقع الطفولي لأبناء جلدتها مدينة تيمي، وفي الآن ذاته هي امرأة صحراوية بامتياز لها القدرة على إسعاد كل من يحيط بها، فقد برزت شخصية عويشة الطفولية المرحة، والمثقفة المتعلّمة التي تجمع بين العلم والأدب"[3].

[1] جميلة طلباوي، وادي الحنَّاء ، 86.

[2] المرجع نفسه، ص85.

[3] لودي بوفلجة، بحسون حسين، مقاربة سيميائية لرواية "وادي الحناء" لجميلة طلباوي، مجلّة دراسات، المجلد 7، العدد03، ديسمبر1918، جامعة طاهري محمد بشار، ص193.

تميَّزت منذ صغرها بالتَّفوُّق في دراستها وحفظها للقرآن الكريم، "كنت حينها أحفظ القرآن الكريم في "أقريبش" التَّسمية الخاصّة بالكتاب في تيمي، ذكائي جعلني متقدّمة في الحفظ"[1].

وقد كان لأمّ عويشة لالة مريم الدور الأكبر في رسم مستقبل ابنتها الحافل بالنّجاحات منذ أن تركتها في بيت الشيخ لتتلقى التعليم ويكون لها شأن في المستقبل، كما جاء على لسان عويشة: "لقد كان حلمها أن أكون خليفة والدي، سلطان تيمي كان دافعا لهذه الخطوة التي أقدمت عليها مرغمة، كانت تدرك بأنّي لن أنال حظا من التعليم إذا ما غادرت تيمي وأقمت عند أخوالي الذين لا يقبلون خروج الفتاة للتعليم، بيت سيدي الشيخ كان البيئة الملائمة في اعتقاد والدتي لالة مريم كي أتلقى العلم وأن تصبح لي مكانة اجتماعية خاصة تليق بتضحيتها... كي أتمكن من الدراسة وكي يصبح لي شأن في المستقبل"[2].

وكان نشاط عويشة وتميّزها الملفت للانتباه دافعا لتشجيع ومساندة المحيطين بها، "كنت شعلة من ذكاء ونشاط، إذ تفوّقت عليهم في حفظ القرآن وها أنا ألتحق بالمدرسة لأثبت تفوقي وأنا أحافظ على الرتبة الأولى في كلّ سنوات الدراسة التي ستأتي... أذكر أيضا يوم عادت والدتي من رحلتها مرة كيف أنّها كانت سعيدة، وكيف أن فرحتها صارت فرحتين، فرحة برؤيتي وفرحة عندما أخبرتها لالة حليمة بأنهم قاموا بتسجيلي مع حفيداتها للدراسة في المدرسة الابتدائية... حتى أنِّي نلت شهادة التعليم الابتدائي، بتفوّق فكرمت في حفل كبير نظّمته المدرسة"[3].

وقد شجعت لالة حليمة عويشة وساندتها منذ أن وافقت على بقائها في القصر فعاملتها كابنتها، وحفَّزتها لمواصلة دراستها، بالاحتفال بها ومكافأتها على نجاحها، "لالة حليمة لم تفوّت الفرصة وأقامت لي احتفالا كبيرا في القصر وكانت هديتها لي قرطين من ذهب"[4].

---

[1] جميلة طلباوي، وادي الحناء، ص92.

[2] المرجع نفسه، ص91، 92.

[3] المرجع نفسه، ص96، 97.

[4] المرجع نفسه، ص97.

كما كان لمساندة الشيخ الأثر في إصرار عويشة على التميّز والنجاح وتحقيق حلمها، "فمازلت أذكر أنّي كنت كلما نجحت في الدراسة وتفوّقت وأبلغته بذلك لالة حليمة، إلا وجلب لي هدية يعطيها لي بنفسه مما حمّسني أكثر للدراسة والنجاح"[1].

أمّا حفيدات الشيخ فقد كنّ يرين في عويشة نظرة الأمل وحلقة الوصل التي تربطهن بالعالم الخارجي الذي حرمن من بلوغه"، لكن حفيدات الشّيخ شجّعنني على مواصلة الدراسة مستغلات فرصة حماس لالة حليمة وسيدي الشيخ لتعليمي، فقد كنّ يؤكّدنّ لي بأنّه عليّ أن أواصل تعليمي لأجلهنّ فقد أصير طبيبة أعالجهنّ، أو أصير مدرّسة أعلّم أبناءهن في المستقبل، والأهم بالنسبة لهنّ أن أكون نافذتهنّ على الخارج"[2].

ويعتبر السند الأكبر لعويشة أخوها الحاج موسى، الذي لم يبخل عليها بالتّشجيع والاهتمام الذي أحدث فارقا في حياتها وحمّسها للوصول إلى حلمها، حيث دعاها للإقامة عنده في بيت أبيها، ووفّر لها كل وسائل الرّاحة، تقول عويشة: "وفعلا غادرت قصر سيدي الشيخ إلى بيت والدي الحاج جلول لأقيم في الجناح الخاص بأخي الحاج موسى وعائلته، فوجدته يخصّص لي غرفة مجهزة بمكتب ومكتبة وسرير مريح، طلب من نجار الحي أن يصنعهم هدية لي لتفوقي الدراسي، وإشارة منه لرغبته في مساندتي، ودعمي لتحقيق حلمي في مواصلة الدراسة"[3].

وفي تعبير آخر: "أمّا حصولي على شهادة البكالوريا فكان الحدث الذي كسر الجمود في المدينة، فرحة أخي الحاج موسى كانت لا تضاهى، أقام الولائم خصّ لها الذبائح وألذّ المأكولات سمعت طلقات البارود، وجاءت الفرق الفلكلوريّة تشارك أبناء الحاج جلول فرحتهم بنجاح عويشة وريقة الحناء"[4].

---

[1] جميلة طلباوي، وادي الحنّاء، ص97.

[2] المرجع نفسه، ص98.

[3] المرجع نفسه، ص104.

[4] المرجع نفسه، ص146.

فرح الجميع بنجاح عويشة وشاركوها فرحتها بنجاح البكالوريا، وقدّموا لها الهدايا وأقاموا الحفلات "سيدي الشيخ هو أيضا أعطى الإذن لحرمه لالة حليمة لتقيم لي حفلا في القصر... دعت أيضا أخواتي وأمهاتهن وبناتهن، فجئن يلبسن أجمل الفساتين، يحملن الهدايا ويزغردن... أمّا هدية سيدي الشيخ فكانت مبلغا ماليًّا لأشتري به ما أحتاجه"[1].

وفي مقطع آخر "خالي هو الآخر احتضنني وألبسني إسوارة من فضة ودسّ مبلغا ماليا وجدتي تنقلا إلى تيمي ليحضرا لي وليمة نجاحي... ألبستني قلادة من فضة، أخي هو الآخر احتضنني وألبسني إسورة من فضة ودسّ مبلغا ماليا في يدي، وهو يقول لي: بالبركة عليك عويشة، حمرت لنا وجوهنا "[2].

وبعد قرار عويشة بمواصلة دراستها الجامعية وجدت معارضة من خالها وإخوتها عدا الحاج موسى "بعد عودتنا إلى البيت لم أعد أتعرف على خالي ونحن نتحلّق حول المائدة نلتهم الكسكس الشهي، لقد أصبح في لحظة شرسا بعد أن سمع أخي الحاج موسى وهو يتحدث عن ضرورة سفرنا بعد أسبوع بغرض التّسجيل في الجامعة، خالي رمى الملعقة من يده دون أن يشعر وهو يقول: هذي ما تكون سي الحاج، ثم راح يذكرنا بالعار الذي سيلحقنا جراء مخالفة العرف، ستنبذنا القبيلة وسيكثر القيل والقال، كلما تنقلت وعدت، أكّد خالي أن سفري إلى وهران للدّراسة في الجامعة سابقة خطيرة... لم يكن خالي الوحيد الذي اعترض على سفري وعلى مواصلة دراستي، حتى إخوتي قاطعوني واتخذوا موقفا من أخي الحاج موسى"[3].

[1] اجميلة طلباوي، وادي الحنّاء، ص146، 147.

[2] المرجع نفسه، ص147.

[3] المرجع نفسه، ص147، 148.

لكن أخاها الحاج موسى لم يأبه لمعارضتهم وأعلن مساندته المطلقة لعويشة "وراح بهدوئه وحكمته يشرح لخالي ضرورة أن نعيش عصرنا، من حقّ الفتاة أن تتعلّم وأن تحقّق أحلامها"[1].

وفي مقطع آخر: "لكن أخي الحاج موسى لم يهتم لهذا كله، كان يقول لي بأنه بعد أن أحصل على الشهادة الجامعية وأعود إلى تيمي سيندمون على معارضتهم، وأكثر من ذلك سيدفعون بناتهم لمواصلة تعليمهن في جامعات المدن الكبرى في شمال البلاد"[2].

وتقول عويشة: "سعادتي كانت غامرة وزادت أكثر عندما أخبرني الحاج موسى بأنه وضع كل التّرتيبات ليرافقني إلى مدينة وهران لأواصل دراستي في الجامعة غير مبال باعتراض العائلة".[3]

تحدّت عويشة مجتمعها المحافظ وكسرت الحواجز بمساعدة أخيها الحاج موسى من أجل الدراسة في الجامعة "الضريبة لم تكن سهلة أن كسرت عادات وتقاليد القصر الكبير وسافرت خارج المدينة لطلب العلم"[4].

وفي سياق آخر يظهر مدى مساندة الحاج موسى لعويشة تنفيذا لوصية والده في الوصول إلى حلمها، "أخي الحاج موسى أخبر أهلنا وكل المعرضين لسفرنا بأنه ينفذ وصية والده الحاج جلول في تحقيق أحلام عويشة. بل أكثر من ذلك صار حلم أخي الحاج موسى أن أنجح وأن أصل إلى أعلى المراتب العلمية...أخي وفّى بوعده، حزمنا أمتعتنا ودّعت لالة حليمة والحفيدات والخدم، ودّعنا عيدة وبنات أخي الحاج موسى وسافرنا إلى وهران"[5].

---

[1] جميلة طلباوي، وادي الحنَّاء ، ص148.

[2] المرجع نفسه، ص148.

[3] المرجع نفسه، 147.

[4] المرجع نفسه، ص17.

[5] المرجع نفسه، ص148، 149.

وبعد التحاق عويشة بالجامعة التقت محمدا الذي أحبّها وساندها في دراستها، خلال الفترة الصعبة التي عاشتها البلاد بداية التسعينات، "صار لي سندا في رحلتي للدراسة في جامعة وهران في الفترة الدموية التي عرفتها البلاد بداية تسعينيات القرن الماضي، كنّا خلالها كلما أردنا ركوب الحافلة للرجوع إلى مدينتنا إلا وبكينا ونحن نودّع أصدقاءنا، فقد يصادفنا حاجز مزيف وننحر ككبشين"[1].

وقد واجها عنصرية من بعض زملاء الجامعة بسبب لون بشرتهما "كان لوني غير محببّ لبعض الزملاء في الجامعة، وحتّى أن بعض المارة في الشارع، منهم من كان يستفزه لوني فيسخر مني وينادوني أحيانا بالنقريطة"[2].

"حتى محمد لم يسلم من عنصرية بعض الزميلات وهو يلحظن الانسجام الكبير بيننا، أذكر كيف أن إحداهنّ انفجرت ضاحكة وهي تسألني سبب إعجابي ب (نيقرو) هكذا وصفته يوما"[3].

تراجع محمد عن مواصلة دراسته الجامعية بعد تأزّم الوضع الأمني في تلك الفترة "ولكن توقف الحافلة المفاجئ جعلنا نقلق كنا في المقعد القريب من السائق، سمعنا صوت شخص يحذّره بأنّ حاجزا مزيّفا في طريق غيليزان نفّذ جريمة بذبح عشرين شخصا"[4]. وقرّر الرجوع إلى أدرار وأراد إقناع عويشة بالعودة معه، "لكنّه أخبرني بأنّه قرر العودة إلى أدرار والالتحاق بسلك التعليم وأنّه عليّ أن أعود معه"[5].

لكن عويشة رفضت الرجوع وأصرت على مواصلة دراستها رغم سوء الوضع، قالت: "يومها عارضته وصرخت في وجهه بأنّه علينا التّحلي بالشّجاعة والصّبر والإصرار على

[1] جميلة طلباوي، وادي الحنَّاء، ص17، 18.

[2] المرجع نفسه، ص16.

[3] المرجع نفسه، ص17.

[4] المرجع نفسه، ص153، 154.

[5] المرجع نفسه، ص155.

إكمال دراستنا... أذكر أنّه غضب منّي وخيّرني بين العودة معه وبين البقاء في وهران على أن أنساه تماما. الاختيار كان صعبا، أخذ من تفكيري ومن وقتي وما آلمني أكثر أنه نفّذ وعيده وعاد إلى تيمي وتركني فريسة للحسرة والألم"[1].

وكان الأمر الذي أجبر عويشة على التراجع عن حلمها والعودة إلى تيمي، هو مقتل رفيقتها خيرة في حاجز مزيّف فعادت دون أن تودّع أحدا"، وصلت مع العصر إلى الحيّ، الجميع بدا لي حزينا، رفعت بصري فإذا بي ألمح لافتة في مدخل الحي كتب عليها أسماء الطالبات اللواتي ذبحن في حاجز مزيف... كان اسم خيرة يتصدّر تلك الأسماء، وقعت يومها مغشيا علي... غادرت الحيّ الجامعي مثقلة بحقيبتي ووجعي، لم أودع الأستاذ حمزة، لم أودّع زملائي"[2].

وصلت إلى تيمي، سالمة، فرح بها جميع أفراد عائلتها وقرّرت الالتحاق بسلك التعليم كما ورد في المقطع التالي: "أسرعت عيدة وكلّ زوجات أخوتي وبناتهنّ لاستقبالي ومعانقتي وهنّ يخبرنني كيف أن العائلة أمضت ليلة صعبة من شدّة الخوف عليّ من مصادفة حاجز مزيف في الطريق، أمّا فرحة أخي الحاج موسى فكانت لا توصف احتضنني بقوة... وجدت لالة حليمة وبنتي الشيخ والحفيدات والخادمات في انتظاري، ليعانقنني ويبكين فرحة بعودتي سالمة، وكم كانت سعادتهنّ غامرة حين أعلنت لهم قراري عن عدم العودة إلى جامعة وهران، وبأنّني قرّرت أن ألتحق بسلك التعليم في تيمي"[3].

[1] جميلة طلباوي، وادي الحنّاء، ص155.

[2] المرجع نفسه، ص158، 159.

[3] المرجع نفسه، ص163، 164.

ثالثا : الحنّاء:

إنّ الموضوع الرئيسي في رواية "وادي الحناء" هو موضوع الحناء، " وبالذّات أوراقها التي تسحق لتزيّن الأيادي والأرجل، لتعلن مواسم الفرح والبهجة والسرور، تشرق المناسبات ويعمّ الحبور أرجاء المدن، وتقرع الطبول إيذانا بقدم البشائر والخيرات"[1].

"وكأنّ المتن الروائي شجرة حناء تتفرّع عنها أوراق لكل ورقة حكاية"[2]، تعدّ الحناء مظهرا من مظاهر الزينة لنساء تيمي خاصة في الأفراح والمناسبات والأعياد، "الحناء كانت أيضا زينة شعر النسوة في مدينتي المغتسلة بالشمس تيمي... بل لأستمتع بالرائحة الطيّبة للحناء في ظفائر شعرها"[3].

مثّلت الحنّاء للبطلة عويشة سحر الأنوثة وطعم الفرح والبهجة ورمز الأمل، الذي عبّرت عنه بقولها: " لطالما انتبهت إلى سحر الحناء، وإلى السّرّ الكامن في لونها، في رائحتها، وفي رمزيّتها المرتبطة بالفرح، بدأ وعيي بضرورتها الجمالية منذ أن كنت طفلة، أمدّ يدي الغضّة لتخضّبها والدتي بأغنية مازالت عالقة بروحي: "بنيتي وريقة الحنة وبها قلبي يتهنّا". فأنام كملاك، وأنهض باكرا لأجل رباط الحنّاء وأبدأ في تفتيت ما يبس منها ليظهر لونها جليا زاهيا في كفي، استنشق رائحتها وأسعد"[4].

ويظهر اعتزاز عويشة بالحناء باعتبارها رمزا من رموز الهوية التيماويّة، حيث تقول: "قبل ذلك استعدت اعتزازي بالحناء مرة أخرى، وأنا في مقاعد الجامعة، كان ذلك حين اقترب منّي الأستاذ حمزة... سألني يومها وهو ينتبه إلى سمرة بشرتي، وإلى اختلاف لهجتي عن لهجة الوهارنة، من أي منطقة أنت يا عويشة؟

[1] لودي بوفلجة، مقاربة سيميائية لرواية وادي الحناء لجميلة طلباوي، ص190.
[2] المرجع نفسه، ص188.
[3] جميلة طلباوي، وادي الحنَّاء، ص13.
[4] المرجع نفسه، ص13.

وبدل أن أقول له أنا من مدينة أدرار، قلت له يومها: أنا من واد الحناء... أنا من مدينة أدرار المعروفة بزراعة الحناء، وبها واد يحمل اسم هذه النبتة صديقة المرأة ورمز الأفراح، قلت له أيضا بأننا نسمّيها الحناء"[1].

وتتفاءل عويشة بالحناء فهي تراها رمزا للحياة والخصب والأنوثة والجمال، "انتبهت خيرة أوَّل طالبة أصادفها في مدخل الجامعة إلى الحنَّاء التي تزيّن كفي، سألتني إن كنت عروسا ضحكت وأنا أجيبها بالنفي، تساءلت عن سر تزييني ليدي بالحناء، أجبتها بأنني أتفاءل بها، فأنا من مدينة لها رائحة الحناء، وهكذا لن أشعر بالغربة هنا في مدينة لها رائحة البحر"[2].

تتواصل علاقة عويشة بالحناء لتصل ليوم خطوبتها وزواجها الذي امتزجت فيه رائحة الحنّاء بطعم السعادة، فتمتزج الحنّاء مع السكر وماء الزهر أملا في حياة مباركة وسعيدة، ونظرا لأهمية الحناء فقد سميت أولى ليالي العرس بليلة الحناء، قالت عويشة: "وفي حفل خطوبتي انتبهت إلى أن العجوز خالتي فاطنة عمّة العريس أضافت قليلا من السكر وقطرات من ماء الزهر للحناء وهي تعجنها كي يكون زواجي مباركا، وكي تكون أيامي حلوة مثل السكر، ندية كالزهر، وأنا أتهيأ لأزف لعريسي رأيت أيضا كيف أن النسوة أمضين أياما وهنّ يخضبنّ يدي ورجلي بالحناء كي يصير لونها جذابا مغريا، كما يليق بعروس، ولأن ليلة الحناء هي ليلة معظمة ولها خصوصيتها في طقوس الزفاف في مدينتي العابقة بالفرح"[3].

فالحنّاء توضع باللّون الأخضر ثمّ تتحوّل إلى اللّون الأحمر لون النَّار، فهذه الشّعلة الحمراء ترمز إلى حرارة العلاقة بين الرّجل و المرأة، و تجديد الميثاق بينهما.

[1] جميلة طلباوي، وادي الحنَّاء، ص16.

[2] المرجع نفسه، ص150.

[3] المرجع نفسه، ص13، 14.

أدركت عويشة بأن عليها أن تزين المجتمع، وأن تكون كنبتة الحناء التي تتكاثر لتزين غيرها، فتقول: "صرت متأكدة بأن الفرح الحقيقي في عرفنا هو أن يصبح لي زوج وأولاد، أما الطموح الذي كنت ألهث خلفه لم يكن الفرح الحقيقي الذي تتوق إليه الأنثى ورقة الحناء الجميلة التي تبقى وظيفتها الأساسية تزيين العائلة وضمان استمراريتها بالإنجاب، هكذا كانت حياة نبتة الحناء أن تتكاثر أينما وجدت، تساءلت بيني وبين نفسي إن كنت قادرة على الجمع بين الأمرين تزيين الأسرة، وتزيين المجتمع وفي قرارة نفسي اتخذت القرار أن أخوض التجربتين معا"[1].

وفي تعبير آخر: "دخولي الحياة الزوجية جعلني أنظر إلى العالم بمرآة صقلها محمد بقلبه العاشق وبرغبته في إسعادي، تعلّمت منه بأن تكون ورقة حناء ليس شرطا أن تكون أنثى، في مدينتي تيمي نحن أوراق الحناء تسحقنا الأحداث المتوالية ونخلط بماء الصفاء والمحبة لنزين هذا العالم بالطيبة لدرجة أننا عندما نسافر خارج المدينة إلى ولاية أخرى خاصة في الشمال يقولون عنّا أننا نِيّة بمعنى أننا طيبون، انتبهت أيضا بأن الإنسان في هذا الوجود ورقة حناء لا تكف عن التكاثر، أينما زرعت بذرتها تتكاثر لتتزين الحياة فالأولاد زينة الحياة الدنيا، فإمّا أن نتكاثر وإمّا أن نسحق"[2].

فعويشة هي" بمثابة ورقة حناء تسحق لتزين وتضيء الآخرين بطيبتها وحنانها وعطفها وحبها، وإخلاصها ووفائها كما تسحق أوراق الحناء الحقيقية لتتزين بها الأيادي والأرجل"[3].

"و لوريقة الحنّا حكاية يمنيَّة شهيرة يعود تاريخها لأكثر من ألفي عام، فهي فتاة يتيمة تعاني من قساوة و خبث زوجة أبيها و ابنتها الدّميمة إكرام؛ لغيرتهنّ من جمالها الأخّاذ، ممَّا

[1] جميلة طلباوي، وادي الحنَّاء، ص165، 166.

[2] المرجع نفسه، ص178.

[3] لوجي بوفلجة، المرجع السابق، ص188.

يكشف عن واحدة من أبرز معتقدات المجتمع اليمني ناحية الحنَّاء؛ حيث يرى البعض أنَّها مرتبطة بكلّ ما هو جميل وحسن"[1].

بدأت معاناة عويشة بعد أن تركتها أمها في دار سيدي الشيخ للدراسة وتحقيق حلمها وحلم والدها، ومنع أخيها الحاج موسى من زيارة أمها، وجدتها وأخوالها، كما جاء في هذا المقطع: "أخي الحاج موسى... كان يرفض سفري إلى أهل والدتي يقول بأنّني بنت الحاج جلول ومن أراد أن يراني عليه أن يأتي إلى هنا، دار الحاج واسعة تسع الجميع، كنت أبكي وأحزن من هذه القطيعة التي أحدثها إخوتي مع أهل والدتي"[2].

وازدادت معاناة عويشة بعد وفاة والدتها لالة مريم، الأمر الذي جعلها تحزن حزنا شديدا، على فراقها وبقائها وحيدة، "لفظت والدتي أنفاسها الأخيرة، ولفظتُ ما تبقى من دموع وصراخ وألم، بكت معي السّماء، وبكت معي الطّبيبة والممرّضات... ودفنت لالة مريم ودفنت معها قطعة من قلبي... وبقيت في هذا العالم وحيدة"[3].

وتستمر معاناة وريقة الحنّة في مرحلة الدراسة الجامعية من خلال مواجهة وتحدّي الحواجز الأمنيّة المزيّفة في الفترة الصعبة التي كانت تعيشها البلاد ويظهر ذلك في هذا المقطع: "انتفضت غاضبة وأنا أقول له بأنني ابنة وادي الحناء وبأنني ورقة حناء خضراء، ولا يكون لوجود الحناء معنى إلا بعد أن تسحق وتخلط بالماء، لتأخذ في الأكف لونا أحمرا مبهجا، قلت له بأن الحاجز المزيف لا يهمني، أنا خلقت لأكون لونا للفرح"[4].

وجّهت عويشة هذا الكلام لمحمد الذي خيّرها بين العودة معه أو انتهاء علاقتهما، وهذا جعلها حزينة مصدومة رغم رفضها العودة معه وتحديها الخوف الذي يسكنها جراء الوضع الأمني.

[1] منال شرف، بين الزّينة والتّاريخ.." الحنّاء " في اليمن أعرق من مجرّد نقش، تعز أونلاين، 15 يونيو 2020.
[2] جميلة طلباوي، وادي الحنَّاء، ص 121.
[3] جميلة طلباوي، وادي الحنَّاء، ص 131.
[4] المرجع نفسه، ص18.

لكنّها تراجعت عن تحقيق حلمها بعد مقتل خيرة زميلتها، لتضطرّ إلى العودة تاركة وراءها حلمها الذي عاشت من أجله.

"تستعمل الرواية معادلا موضوعيا ممثلا في ورقة الحناء التي ترمز للحياة والكفاح والصبر والثبات، فهي تتمدّد وتحيى لتنتصر للحياة على آلة الموت والاغتيال العمياء، هي الحياة ممثلة في وادي الحناء الذي يرمز فيه الماء إلى الوفرة والخصوبة ، وترمز فيه الحناء للتجدد والخلود"[1].

وقد عاشت عويشة مرارة الفقد والحرمان بفقدان زوجها الذي توفي في حادث مرور، فحزنت عليه حزنا بالغا، وسحقت كما تسحق أوراق الحناء، فلم تكتمل فرحتها بولادتها حتى أتاها الخبر الذي لم تتوقعه" والموت الذي هرب منه محمد في حاجز مزيف في الطريق إلى وهران لقيه في تيمي وهو يسرع الخطى من المستشفى إلى البيت ليجلب لي أغراضا، كان يمشي كأنّه طائر يحلق في الهواء لكنه اصطدم بسيارة أردته قتيلا، يومها أحسست بأن روحي سحقت لولا ابنتي حليمة لما عاد لحياتي معنى بعد رحيله، كنت أقف على قبره وأنتظر مع كل موسم أن تمدّ أوراق الحناء سيقانها، أن تعيده إلى الحياة لونا بهيا ورائحة مبهجة، لكنّني اخترت اللون الأسود للباسي حزنا عليه... حتى بعد أن كبرت حليمة وأكملت دراستها وأصبحت طبيبة واختار لها القدر عريسا من خارج تيمي لم أغير اللون الأسود في عرسها"[2].

وبقيت عويشة تتجرّع الحزن والألم تباعا لفقدانها أحبابها بوفاتهم وبقائها وحيدة بعد رحيل ابنتها إلى منطقة أخرى بعد زواجها.

[1] يسمينة عوادي، تخييل الأنساق الثقافية في رواية وادي الحناء للروائية جميلة طلباوي، جامعة الوادي ، الجزائر، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، مجلد 06، العدد 01، مارس 2023، ص 201.

[2] جميلة طلباوي، وادي الحنَّاء، ص179، 180.

"وجدتني في الأسود أكثر توازنا وأنا أقيم عرسها بدون والدتي لالة مريم، وبدون والدها محمد العربي، وبدون لالة حليمة و زازة وفانة، كلهم وافتهم المنية تباعا... ولم تبق لي إلاّ الذكريات تعبق برائحة الحناء، بكيت فراق ابنتي بكيت بعدها رغم سعادتي لأجلها"[1].

تتشابه حياة عويشة الحزينة مع حياة أمها لالة مريم فقد عاشتا ألم الحزن والفقد والوحدة، تقول: "كنت أجدني شبيهة بوالدتي لالة مريم هي الأخرى قامت بتربيتي وحيدة بعد وفاة والدي الحاج جلول، وأنا هي الأخرى قامت بتربية ابنتي حليمة وحيدة دون زوجي محمد العربي، وجدتني أشترك معها في هذا القدر، وجدتني أسحق ورقة الحناء في وحدتي بعد أن تقدم بي العمر"[2].

فقد عاشت لالة مريم حياة حزينة بدأت منذ زواجها بالحاج جلول وابتعادها عن أهلها والسفر والاستقرار في تيمي، فجمال مريم الفاتن جعلها مطلبا للبعيد وهذا ما يؤكده المقطع التالي: "وها هي مريم بسبب جمالها الفاتن جعلها مطلبا للبعيد هي الأخرى، وتستقر في تلك المدينة البعيدة تيمي"[3].

وجدت مريم نفسها محاطة بعائلة كبيرة مكونة من زوجات الحاج جلول الثلاث وأبنائه وبناته الذين اتفقوا على كرهها ورفضهم لزواج جلول منها.

"أجمعت زوجاته على رفض زواج الحاج جلول من والدتي مريم لصغر سنها، نظرت إلى عيون بنات الحاج جلول ففهمت ماذا ينتظرها في ذلك القصر الكبير، تذكر لي والدتي كيف أنها وجدت نفسها وسط عائلة كبيرة ربائب لهم زوجاه وأبناء وربيبات لهنّ أزواج وأبناء

[1] جميلة طلباوي، وادي الحنّاء، ص180.
[2] المرجع نفسه، ص180، 181.
[3] المرجع نفسه، ص41.

كانوا معارضين لزواج أبيهم الكهل من تلك الصبية فاتنة الجمال، بكت يومها لالة مريم بحرقة، وهي ترى الكره والتذمر في أعينهم"[1].

زادت معاناة لالة مريم بوفاة زوجها الحاج جلول واستحال العيش مع زوجاته وأبنائه، ومع إصرار أهلها على عودتها معهم غادرت مريم تاركة ابنتها عويشة في دار سيدي الشيخ للدراسة تنفيذا لوصية زوجها كما جاء على لسان عويشة: "فهمت يومها رغم صغر سنّي بأن الخادمة زازة كانت تحاول مواساة والدتي بعد وفاة والدي، وبأنّها كانت على علم بمأساتها مع ربائبها وهي الغريبة عن المدينة، إذ وجدت نفسها بين مطرقة أهلها الذين أصرّوا على عودتها معهم إلى مدينتهم بعد الظلم الذي تعرضت له من طرف ربائبها، وبين سندان وصيّة زوجها الحاج جلول بأن أبقى في مدينة تيمي قرب دار الشيخ الكبيرة كي أتربّى مع إخوتي من والدي"[2].

"وفي سياق الألم تصف الراوية حالة مريم التي كانت ورقة حناء، تزيّنت بها حياة الحاج جلول الذي كان لها نعم الزّوج المحبّ ولكن بعد وفاته، أصابها داء السّرطان وفتّتها كما تتفتت ورقة الحناء، لقد أصابها الورم في ثديها الذي يرمز للأنوثة التي أصابها العطب في هذا المقام"[3].

"حال والدتي لم يكن يطمئن، الطّبيبة بخبرتها جعلتها تتحدّث وتخبرها عن الورم الذي تطور في ثديها، الطبيبة ابتلعت ريقها من هول الصدمة، لكن والدتي أضافت بثقة كبيرة بأن الدا رقية في قريتها أخبرتها بأن الورم تشكل في ثديها بفعل السّحر الذي قامت به زوجات الحاج جلول انتقاما منها أن تزوجت حبيبهن سلطان الغرام.. استطعت أن أدرك حينها بأن والدتي هي الأخرى كانت ورقة حناء سحقها المرض ورغم ذلك كانت تزين حياتي وهي تكتم

[1] جميلة طلباوي، وادي الحنّاء، ص48، 49.

[2] المرجع نفسه، ص 21،22.

[3] يسمينة عوادي ، تخييل الأنساق الثَّقافيَّة في رواية وادي الحنَّاء للرِّوائيَّة جميلة طلباوي، ص199،200.

ألمها. كل من يسحقه الألم وهو يزيّن ما حوله، ما هو في حقيقة الأمر سوى ورقة حنّاء مسحوقة"[1].

فالأنثى في رواية وادي الحناء تسحق لتزين حياة الآخرين كأوراق الحناء وتمثله على غرار عويشة ومريم، لالة حليمة زوجة سيدي الشيخ وحفيداتها وزوجة الحاج موسى، وخادمات القصر زازة و فانّة وعاشورة.

[1] جميلة طلباوي، وادي الحنَّاء، ص 126.

المبحث الثاني: النّسق الاجتماعي:

النّسق الاجتماعي يعتبر الأكثر حضورا وهيمنة في الرواية الجزائرية باعتباره مرآة عاكسة لما يحدث في المجتمع من فرح وحزن وهذا ما نلمسه في رواية وادي الحناء.

أولا: نسق الفحولة:

يمثل نسق الفحولة السّلطة الذكورية التي يمارسها الذكر على الأنثى سواء أكانت سلطة جسدية جنسية أو معنوية، وقد تمثّل هذا النّسق المضمر في شخصيات عدّة في هذه الرواية على غرار شيخ الزاوية وابنه السّي عثمان والحاج جلول.

1-شيخ الزاوية:

تقدّم لنا الرواية هذه الشخصية المقدسة، والتقدير الكبير الذي تناله من قبل المجتمع وكلّ المحيطين بها وهذا ما جعلها تمارس سلطتها سواء في العائلة أو المجتمع من خلال فرضها نظاما معينا داخل القصر يتمثّل في تخصيص جناح لكلّ فرد من أفراد العائلة زوجته وابنه وبناته المتزوجات والضيوف، كما بيّن هذا المقطع: "أذهلها النظام الدقيق الذي يحكمه ابتداء من توزيع الأجنحة وكلّ جناح له باب يؤدي إلى خارج القصر، وكل جناح متكوّن من عدّة غرف واسعة مؤثّثة بأفرشة ونمارق، جناح سيدي الشيخ وخلوته، جناح زوجته، جناح ابنته الكبرى، تقيم فيه مع زوجها وأبنائها، جناح ابنته الصغرى تقيم فيه مع زوجها وأبنائها، وجناح لابنه الوحيد السّي عثمان، وجناح للضيوف مهيّأ بكلّ ما يحتاجه الضّيف المقيم لعدّة أيّام"[1].

كما يفرض هذا النظام قوانين خاصة بالعائلة الكبيرة ومنها عدم خروج زوجة الشيخ وبناته وحفيداته خارج القصر مهما كانت الأسباب وحرمانهنّ من حضور المناسبات الاجتماعية أو مواصلة الدراسة أو حتى رؤية ما يحدث في الخارج، فزوجة الشيخ "لالة

[1] جميلة طلباوي، وادي الحنّاء، ص53.

حليمة هي أيضا كانت محظوظة حين اختارها الشيخ زوجة له بعد وفاة زوجته الأولى، فارتقت منزلتها الاجتماعية لكن الضريبة كانت أن لا تغادر البيت الكبير إلا إلى قبرها... زوجة الشيخ في العرف لا تخرج، لا تغادر بيت الشيخ أبدا مهما كانت الظروف والأحوال، لالة من دار سيدنا لقبرها"[1].

فهي لا تخرج حتى للعلاج بل الطبيبة هي من كانت تأتي إليها، "لالة حليمة لم تكن تغادر بيتها حتّى للعلاج، كانت الطبيبة تحضر إلى البيت لتكشف عليها ولتقدّم لها العلاج اللازم"[2]، فقد حظيت لالة حليمة بمكانة اجتماعية مرموقة استمدتها من شيخ الزاوية لكنّها حرمت من أدنى حقوقها"، حيث يصبح الرجل هو النموذج المحتذى للمرأة، وحيث تجد المرأة نفسها بلا قدوة سوى قدوة الرجل وبلا تقاليد وأعراف ونماذج سوى ما يطرحه الرجال"[3].

وتظهر الرواية أيضا سلطة الفحولة عند الشيخ التي فرضها على بنيته وحفيداته بحرمانهنّ من أبسط حقوقهنّ كمواصلة الدراسة، الخروج للعلاج أو اختيار الزوج وعزلهنّ عن العالم الخارجي، تقول السّاردة: "قرّر الشيخ تزويجها من قريبين له كما يليق بنسبهما الشريف حسب العرف الذي يمنع بنات العائلة من الزواج بالأجنبي عن القبيلة. حزنت البنتان وتسرّبت معلومات حول حزن العريسين أيضا فكل من الشابين تمنّى الزواج من فتاة يختارها، كما تمنَّت البنات الزواج من شابين تكونا قد سبق لهما رؤيتهما... يفرض العرف على الزوجين الإقامة في بيت سيدي الشيخ، في الجناح المخصص لابنتيه"[4]. وفي مقطع آخر تقول الروائية: "لمست الفارق بيني وبين حفيدات سيدي الشيخ، إذ كانت تلك آخر سنة

[1] جميلة طلباوي، وادي الحناء، ص83.

[2] المرجع نفسه، ص83.

[3] عبد الله محمد الغذامي، المرأة واللغة، ط3، المركز الثقافي الغربي، الدار البيضاء، 2006، ص170.

[4] جميلة طلباوي، وادي الحنَّاء، ص82.

يخرجن فيها فقد وصلت مرحلة البلوغ وأصبحن ملزمات باتباع عرف العائلة الكبيرة وعدم مغادرة البيت كونهن حفيدات الشيخ"[1].

ونجد نسق الفحولة عند الشيخ في هيبته وحضوره الاجتماعي واحترام وتقدير سكان القرية له، فهو يحظى بمكانة اجتماعية ودينية مقدسة، ومثال ذلك حواره مع عبد القادر والد الكنَّة مليكة، حيث لم يكن سهلا عليه مواجهة الشيخ احتراما له "سي عبد القادر أحد أعيان المدينة لم يكن يمنعه من التدخل في مشكلة ابنته سوى احترامه لشيخ الزاوية، لكن أمام إلحاح ابنته تدخل، كان صعبا عليه أن يواجه الشيخ وهو يوقّره ويهابه ويقدّر مكانته الاجتماعية والدينية... تصبّب جبينه عرقا، لكنّه استجمع شجاعته وقال له: "أنت صاحب الحكمة والفضل يا سيدنا"[2].

2-السّي عثمان (ابن شيخ الزاوية):

السّي عثمان هو الابن الذكر الوحيد لشيخ الزاوية المعلقة عليه كلّ الآمال في استمرار نسل العائلة الشريفة، لكن ذلك لم يتحقّق في زواجه الأول بمليكة، رغم معاناتهما مع العلاج والحرمان من الذرية، وهذا ما سبب حزنا وألما لعثمان وزوجته، "مرت خمس سنوات من خيبة الأمل واليأس بعد محاولات علاج متكرّرة، لم يعد السّي عثمان يطيق البقاء دون طفل، كلما حلّ عيد أو مناسبة واجتمع الأطفال في باحة القصر في انتظار إطلالة الشيخ ليوزع عليهم الحلوى والهدايا، ولينالوا بركته إلا واعتصر قلب السي عثمان واعتصر وجهه بسماع أدعية الزوار بأن يرزقه الله الذرية الصالحة"[3].

يرى السّي عثمان فحولته في استمرار نسله خاصة وأنّه الوريث الوحيد للشيخ مما جعله يقرّر الزواج مرّة ثانية، لكن زوجته الأولى رفضت وطلبت الطلاق، "هزّت لالة حفصة رأسها

[1] جميلة طلباوي، وادي الحنَّاء، ص98.
[2] المرجع نفسه، ص72، 73.
[3] المرجع نفسه، ص69.

بالإيجاب وهي تخبرني بأن السّي عثمان طلّق زوجته لالة مليكة لأنّها لم تنجب له الولد الذي ظلّ يحلم به، فهو الوريث الوحيد لسيدي الشيخ ولا بدّ أن يكون له ولد يحفظ امتداد سلالة الشيخ الشريفة، وممّا عقّد الوضع رفض لالة مليكة زواج السّي عثمان من امرأة أخرى قد تنجب له الولد، وأكثر من ذلك أنّها طلبت الطلاق"[1].

"تطرح الرواية إشكالية نقاء العرق وهو أن تبقى سلالة نسق الفحل فريدة دون أن تختلط دماؤها بدماء أخرى، فكيف بفحل ارتبط اسمه بالخصوبة الفكرية والعرقية، أن يقف العقم في طريقه ويهدّد انقراض سلالته الشّريفة. إنّ انقطاع هذا النسق عن الولادة له إيذان بزوال هيمنة هذا النسق الناعم على مريديها واندثار فكره وطريقته الروحية، إن ميلاد مولود ذكر هو بذرة جديدة، تبشر باستمرار هذا النّهج الصّوفي القائم على التّكافل الجماعي في سبيل الزاوية و مريديها"[2].

تبيّن الرّواية فرحة الفحل السّي عثمان بعد أن رزقه الله مولودة من زوجته الثانية فاطمة الزهراء، فقد تحقّق حلمه وصار أبا وعمّت الفرحة العائلة الكبيرة وكذلك القبيلة"، أخيرا وبعد انتظار طويل حقّق السّي عثمان حلمه في الأبوة وصار أبا. فرحة سيدي الشيخ كانت كبيرة جدّا، أقيمت الولائم في القصر وظلّ تلاميذ الزاوية يرتّلون القرآن بطلب من الشيخ حمدا لله الذي استجاب لدعائه ولم يحرم ابنه من الذرية، فرحت كثيرا لأجل السّي عثمان أن تحقق حلمه... أغدق سكّان تيمي الهدايا على لالة فاطمة الزهراء تعبيرا عن فرحتهم بميلاد الصغيرة لالة مريم، وفرحة أن تحقّق حلم السي عثمان ولم يحرم من الإنجاب"[3].

[1] جميلة طلباوي، وادي الحنّاء، ص66، 67.

[2] يسمينة عوادي، تخييل الأنساق الثّقافيَّة في رواية وادي الحنَّاء للرِّوائيَّة جميلة طلباوي ، ص195.

[3] جميلة طلباوي، وادي الحنّاء، ص175، 176.

3- الحاج جلول (سلطان الغرام):

كانت للحاج جلول مكانة اجتماعية مهمّة بيّنت فحولته في المجتمع، وكذلك في قول الشّعر، فقد كان يثير إعجاب الجميع بقدرته على الإلقاء وحضوره المدهش، ففي المقطع الآتي تظهر فحولة الحاج جلول اجتماعيا، "والدي الحاج جلول كانت له مكانة مرموقة في تيمي، لم يكن ضحية لونه الأسمر كباقي بني جلدته، فيجد نفسه منبوذا أو خادما أو في الترتيب الأخير من السّلم الاجتماعي في مدينتي بل استطاع افتكاك مكان له، مع الأشراف والنبلاء بفضل موهبته، إذ كان شاعرا حكيما ومخبأ أسرار أهل المدينة ووجهتهم، إذا ما ذاقت بهم الدنيا بما رحبت لحلّ مشاكلهم ونزاعاتهم"[1]، وقد تعدّت مكانته القبيلة حتّى أن السّلطة الفرنسية آنذاك كانت تحسب له حسابا واستثنته من الاعتقال رغم مشاركته في النضال ضدها، "كل هذا جعل الإدارة الفرنسية تحسب له ألف حساب ولم يتمّ اعتقاله رغم علم الجميع بنضاله ومشاركته في تحرير الوطن"[2].

ويثبت الحاج جلول فحولته الاجتماعية من خلال تعدّد الزوجات وإعجابهنّ الشديد بشخصيته، وقدرته على إرضائهنّ، "فنجد الجميع يتسابق لمصاهرته، لشدة انبهارهم برجولته وماله وشعره. تكشف لنا الرواية نسيجا ذهنيا وثقافيا لمجتمع تضرب جذوره في صحراء تنتج أنساقها الفريدة الضاربة في العادات والتقاليد المتميزة"[3]، كما جاء في هذا القول: "مريم كغيرها من سكان البلدة تكنّ إعجابا لهذا الرجل الأسطورة، هذا الرجل الذي في كلامه سحر وفي حضوره نور وضياء، مثلها كانت زوجاته الثلاث من قبل،... لكل واحدة منهنّ لحظة شوق ولحظة فرح، أن صارت له قرينه، الكبرى قريبته وفرحته الأولى التي اختارتها والدته وأنجب منها خمس ذكور وأربع بنات، والثانية ابنة أحد أعيان المدينة افتتن بجمالها وطاب لوالدها أن يصاهر السلطان الساهر فتمّ الزواج، فأنجبت له ثلاث بنات وذكرا واحدا، أمّا

[1] جميلة طلباوي، وادي الحنّاء، ص22.

[2] المرجع نفسه، ص29.

[3] يسمينة عوادي ، تخييل الأنساق الثَّقافيَّة في رواية وادي الحنَّاء للروائيَّة جميلة طلباوي ، ص 197.

الثالثة فكانت من بنات الأعيان أيضا، يقال أنّها افتتنت بجماله وأرسلت له مع الخادمة منديلها لفّت فيه ورقة حناء"[1]. كما يبرز لنا هذا المقطع فحولته في كثرة نسله.

أمّا عن فحولته في الشّعر فقد كان تأثيره كبيرا، إذ نجده يأسر القلوب بشعره الغزلي، وطريقة إلقائه وبجذب انتباه الحاضرين إليه وسحرهم بقصائده الجميلة المتنوّعة بين الغزل ومدح النّبي عليه الصّلاة والسّلام كما يظهر في هذا المقطع "كان يومها مدعوا لإلقاء قصيدة... تعالت الزغاريد بهجة بقدوم سلطان الغرام، مشى بين الجموع تداعب الرمال الصافية خطواته، أخذ مكانه وسط الحلقة الكبيرة من نساء و...عدّل من شاشه عمامته...وقف وكأن مغناطيسا ظل يشده إلى الحسناء مريم التي اعتصر وجهها خجلا وعيناها تلتقيان بعيني سلطان الغرام...واعتصر وجه الحاج جلول حمرة وراح ينشد قصيدة في الغزل بدلا من قصيدة في مدح الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام، وهو يردّد على مسمع الحاضرين، أحسنوا عون العاشق بالجمر مكوي نار المحبوب قايدة واش يطفيها. ظل الحاضرون يهلّلون ويكبّرون ويطلبون منه المزيد، يمسد الحاج جلول لحيته بيده التي يبرز في أحد أصابعها خاتم من فضة تلمع فيه حجرة سوداء، ثمّ يعدّل من وقفته ليرتجل قصيدة غزل في ظبية أخذت لبّه بسحرها وجمالها"[2]. وفي تعبير آخر: "وعاد ليقول قصيدة في مدح النّبي عليه الصّلاة والسّلام والحاضرون لا يكفّون عن التهليل والتكبير، انسحب سلطان تيمي الحاج جلول من الحلقة لتتعالى أصوات النسوة بترديد كلمات شاعرتهن نانة عايشة: خيار القول لله قولوا للقوالة هو اللي يستاهل الشكر

صلى الله عليه، ما يبخل مدّاح سيد الأمة سيد الرجالة.

[1] جميلة طلباوي، وادي الحنَّاء، ص25، 26.

[2] المرجع نفسه، ص 23، 24.

يغيب سلطان الغرام الحاج جلول بين جموع الرجال المعجبين بشعره الجميل، وبحديثه المفعم بالحكم والعبر وبروحه الخفيفة"[1].

ثانيا: العادات والتقاليد

أظهرت الرّوائية منطقة تيمي الصحراوية في أبهى حللها من خلال سردها للحياة التيماوية والعادات والتقاليد التي يتمسك بها السّكان، ولا يتخلّون عن أدقّ التفاصيل، فقد مثّل اللّباس التقليدي جزءا لا يتجزأ من حياة سكان تيمي ورمزا دالا على الهوية الصّحراوية ومنه "وقد ألبستني ليزار لباسنا التقليدي الجميل"[2]، فهو" لباس تقليدي تلبسه المرأة الجزائرية"[3].

"لبست الحايك، وهو لباس تقليدي تلبسه المرأة عند خروجها خارج البيت"[4]، كما ترتدي بنات المنطقة الملحفة، وهو" لباس تقليدي تلبسه المرأة في الجنوب الجزائري"[5]. كما ورد في المقطع الآتي: "ولبست الشّابات الملحفة بألوان زاهية"[6]، أما الرجال فيعتمرون العمامة والشّاش ويلبسون العباءة، "زادته العباءة البيضاء والعمامة فوق رأسه هيبة الشيوخ والعلماء"[7]، "عدّل من شاشه عمامته التي يعتز بها"[8].

كما يصنعون من صوف الخروف نوعا من الأفرشة يسمى الهيدورة، "ثم أجلستني زازة خادمة زاوية سيدي الشيخ على فراش مصنوع من صوف خروف العيد نسميه الهيدورة"[9].

---

[1] جميلة طلباوي، وادي الحنَّاء، ص25.

[2] المرجع نفسه، ص14.

[3] المرجع نفسه، ص22.

[4] المرجع نفسه، ص20.

[5] المرجع نفسه، ص24.

[6] المرجع نفسه، ص22.

[7] المرجع نفسه، 136.

[8] المرجع نفسه، ص23، 24.

[9] المرجع نفسه، ص14.

أمّا عن المأكولات التقليدية فقد تميّزت تيمي بطبق السّفوف، "وهو تمر مجفف تدقّه المرأة وتمزجه بالتوابل فيصير له مذاق لذيذ جدا"[1]. كما ذكر في هذا المقطع "مدّت له بيدين مرتجفتين طبقا من سعف النخيل ملأته بالسّفوف"[2]. ومن عادة النسوة أن يجتمعن لفتل الكسكس" والنّساء اجتمعن لفتل الكسكس"[3]، وكذلك إعداد فطائر البغرير والمسمن وتقديمهما للضيوف "تحملان أطباقا فيها الحلوى والمسمن وفطائر البغرير"[4].

كما تتميّز منطقة تيمي بأكلة الرقاق "كان الرقاق الذي يعدّ من الدقيق والماء والملح، ونشكلّه عجينة خفيفة، نطهوه ثمّ نعدّ له صلصة من البصل والطماطم وتوابل تيمي اللذيذة نسوي طبقات من الرقاق والصلصة ونتناولها مع مشروب الشاي"[5].

أمّا عن عاداتهم في الأعراس والمناسبات، فتقوم النساء بتحضير البخور والكحل والحناء، "كان يسمع صوت الهاون والنسوة يقمن بتحضير البخور والحناء والكحل لتأخذ العروستان زينتهما"[6].

ويوضع البخور في إناء خاص يسمى "مسكور وهو إناء البخور التيماوي"[7]، وتزيّن أعراسهم وأفراحهم البارود والأغاني الفلكلورية "عاشت المدينة على إيقاع البارود وأغاني الركبية والشلالي وكل الأهازيج التيماوية التي جعلت الفرح عنوانا لمدينتنا"[8].

ومن ضمن العادات التي يقمن بها فتيات تيمي أكل ما يتركه الشباب من حليب وتمر في أعراسهم لجلب الحظ لهنّ حسب اعتقادهنّ كما جاء في هذا المقطع: "تذكر لي والدتي

[1] جميلة طلباوي، وادي الحنَّاء، ص26.
[2] المرجع نفسه، 26.
[3] المرجع نفسه، ص83
[4] المرجع نفسه، ص89
[5] المرجع نفسه، ص152
[6] المرجع نفسه، 83
[7] المرجع نفسه، ص158
[8] المرجع نفسه، ص127

مريم الحسناء أنّها كانت لحظتها محاطة برفيقاتها العازبات في انتظار ما يتبقى من تمر وحليب يقدم في هذه المناسبة للرجال، يعود به الشّباب لتذوقه الفتيات تفاؤلا به فهذا الأصل حسب اعتقادهنّ سيجلب لهنّ الحظ السعيد والزواج مباشرة بعد العروس"[1].

[1] جميلة طلباوي، وادي الحنَّاء، ص39

خاتمة

في نهاية رحلتنا البحثية التي حاولنا من خلالها الكشف عن الأنساق الثقافية المضمرة في " رواية وادي الحناء لجميلة طلباوي" التي اشتغلنا عليها وفق مقاربات وآراء النقد الثقافي، وخلصنا من خلالها إلى جملة من النتائج:

- مهمة النقد الثقافي هي الانتقال بالنقد من النص بصورته الجمالية إلى نقد الأنساق المضمرة فيه.
- يعتبر عبد الله الغذامي من الأوائل الذين تبنوا مشروع النقد الثقافي وتحديد مفاهيمه.
- النقد الثقافي ربط الأدب بالتخصصات والعلوم الإنسانية، كعلم النفس والتاريخ والسياسة والدين.
- النقد الثقافي يقوم على دراسة الخطابات لا سيما الأدبية منها، ورواية " وادي الحناء" تعتبر خطابا ثقافيا.
- الرواية الجزائرية المعاصرة وخصوصا رواية المحنة (الأزمة) تزخر بثورة ثقافية هائلة، ما يجعلها أرضا خصبة ثرية تصلح ليقرأها النّقد الثقافي.
- الأنساق الثقافية مفهوم أساسي يرتكز عليه النقد الثّقافي، فهي لبنات مضمرة تفتح النص على الواقع والمجتمع، معبّرة عن خفايا ومكنونات الكاتب الثقافية ومرجعتيه، وتوجيهاته.
- ركزت الروائية على النسق الديني باعتباره المقوم الأساس للمجتمع الإسلامي، وقد تجلى حضور هذا النّسق في الزاوية وشيخها من خلال إبراز مكانتهما ودورهما في المجتمع الصّحراوي.
- يعد النسق الاجتماعي من أكثر الأنساق حضورا وهيمنة في هذه الرواية، فهو يلامس واقع منطقة تيمي من أفراح وأحزان وطقوس وعادات يومية، ويظهر ذلك في المعتقدات السائدة والعادات والتّقاليد المتوارثة في الأكل واللباس والاحتفال بالمناسبات الدينية والاجتماعية، التي تعبّر عن هويّة وثقافة المنطقة.

- أبرزت الرواية المكان كنسق ثقافي له رمزيته ودلالته، حيث صورت القرية بما فيها من قصور وزوايا مشبعة بالتعاليم الدينية والعادات والتقاليد، التي تعبر عن تراث المنطقة الصحراوية.

- هيمنة نسق اللون في الرواية الذي تجلى في التّمييز بين البيض والسود أو السادة والعبيد، وهذا أظهر الطبقية بشكل لافت من خلال الخدم (زازا) والأسياد مثل (سيدي الشيخ وزوجته حليمة وزوجة السي عثمان)، فقد ركزت الكاتبة على تفاصيل هذا النّسق أيضا من خلال عويشة ومحمد وما تعرضا له من تمييز في الجامعة بسبب لونهما.

- طرحت الرواية نسق الفحولة من خلال شخصيات جمعت بين السلطة الدينية التي جسدها سيدي الشّيخ حيث تمثّلت فحولته على أهل بيته من خلال حجم زوجاته وبناته وحفيداته عن العالم الخارجي حيث يعتبرهن لآلئ مكنونة في محار حجبها عن الأنظار، كما ظهرت فحولته داخل المجتمع كالزاوية والقرية، وحتى خارجه، والسّلطة الذّكورية التي تمثلت في السي عثمان الذي يريد إثبات فحولته باستمرار نسله، وكذلك سلطان الغرام الحاج جلول الذي يريد إثبات فحولته من خلال تعدد الزوجات، وكذلك فحولته في الشعر.

- الحضور الطّاغي للأنثى الذي تمثل في عويشة التي كسرت الحواجز، وخرجت عن تقاليد المنطقة بمواصلتها الدراسة خارج تيمي، لتكون مثالا للأنثى القوية المثقفة المتحدية للظروف، على عكس أمها مريم وبقية نساء تيمي المهمشات المحرومات من الحياة الطبيعية.

- سلّطت الروائية الضوء على ورقة الحناء بدءا من تقسيم الرواية إلى أوراق بدل الفصول، رغم أن الحنّاء هامش بالنسبة للمنطقة الصحراوية، لكن في هذه الرواية ظهرت الحناء كرمز للأنوثة، حيث لقبت بها عويشة وشبهت بها في الفرح من خلال لونها ورائحتها، وفي الحزن من خلال معاناة ورقة الحناء وسحقها لتزيين الآخرين، فالحنّاء تعبّر عن واقع المرأة في تيمي وما تعانيه لتنير درب الآخرين.

وختاما نرجو أنّنا وفقنا في الإلمام بجوانب هذا البحث المتواضع، وهذا ما سعينا إليه وعلى الله قصد السَّبيل.

تمّ العمل: يوم السّبت 18 ماي 2024م

أسماء بن بردي

أسماء فتح الله

منى زبدي

الملاحق

ملخص الرواية:

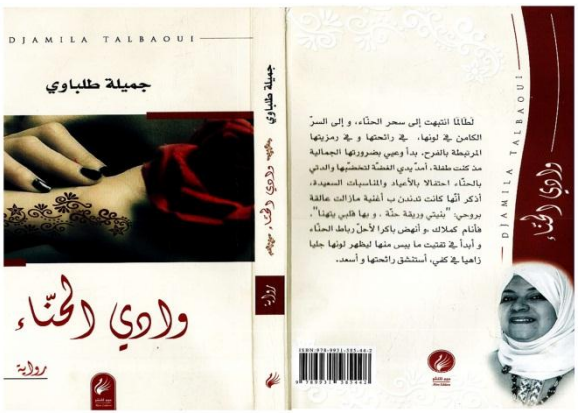

ركزت رواية وادي الحناء لجميلة طلباوي في سرد أحداثها على البطلة عويشة الفتاة السمراء، الملقبة بوريقة الحناء في منطقة "تيمي" التي نثرت السعادة أينما وُجِدَتْ، وقد جاءت الرواية على لسانها وقد روت بداية حياتها في قصر سيدي الشيخ، فقد عاشت فيه فترة طويلة تحت رعاية الشيخ وزوجته لالة حليمة، وحظيت بمعاملة خاصة حيث كانت حياتها مليئة بالنشاط، فقد صورت البيئة الصحراوية التي تنتمي إليها الكاتبة ومنها العادات والتقاليد الخاصة بالمرأة، وكذا الطقوس والمعتقدات التي أبرزت هويتها وتراثها، كما بيَّنت دور الحناء لرمزيتها في المناسبات المختلفة، كما واجهت عويشة تحديات كثيرة بدايةً بترك والدتها لها، ورجوعها إلى بيت أهلها بعد وفاة والدها، ثم بكسرها لحواجز المجتمع بخروجها للدراسة في جامعة وهران حيث وجدت معارضة أسكتتها موافقة أخيها الأكبر (الحاج موسى) والذي زاد من إصرارها وصمودها في تحقيق حلمها، إضافة إلى مواجهتها للتمييز العنصري أثناء تواجدها في الجامعة بسبب لون بشرتها الأسمر وقد جمعها القدر بمحمد في الجامعة نفسها الذي وقف معها وساندها في غربتها، امتزجت أحداث الرواية بين مشاعر الحزن والفرح، فقد عانت عويشة بعد وفاة والدتها، وأيضا بمقتل صديقتها خيرة بسبب حاجز إرهابي مزيف أثناء العشريَّة السوداء وهو السبب نفسه الذي جعلها تنقطع عن دراستها، وتعود إلى قريتها وتعمل في سلك التَّعليم، أما فرحها الحقيقي فكان بزواجها من محمّد، وولادة طفلتها، ولكن هذه الفرحة لم تكتمل بسبب وفاة زوجها، وأكملت حياتها من بعده حزينة تسترجع ذكرياتها لتعيش وحيدة بعد زواج ابنتها.

وقد قسّمت جميلة طلباوي روايتها وادي الحناء إلى ثماني وريقات كل ورقة منها تروي جزءا من ذكريات عويشة، وكانت كالآتي:

1. لون الحناء صوت الحياة.
2. لالة مريم زينة البنات.
3. دار سيدي الشيخ.
4. بواكير النضج أرواح متعبة.
5. التّغيير بداية الحكاية.
6. قصر سيدي الشيخ جنتي.
7. بداية الحلم رحلة مزن.
8. رائحة الحنّاء طعم الفرح.

لقد اعتبرت الكاتبة الأنثى بمثابة ورقة حناء تسحق لتزيّن من حولها بما تقدّمه من حبّ واهتمام وتضحية كما تسحق أوراق الحنّاء لتتزين بها النّساء.

نبذة عن حياة الروائيّة جميلة طلباوي:

جميلة طلباوي إعلامية، أديبة وروائية جزائرية، كتبت في مختلف ألوان الأدب من نثر وشعر، ولدت الكاتبة عام 1969 بولاية بشار من مدينة الساورة في أقصى الجنوب الغربي الجزائري، متحصلة على شهادة مهندسة الدولة في الميكانيك من جامعة بشار عام 1995، نشأت في أسرة تعشق الكتابة، وظهر ميولها للأدب والكتابة من صغرها، كما اشتغلت كمنشطة في محطة بشار الجهوية للإذاعة، كما أعدّت وأخرجت عدّة برامج إذاعيَّة وتلفزيونية على غرار برنامج "على ضفاف وادي قير 2011م" ومن أشهر مؤلفاتها:

- مجموعتها الشعرية : شظايا عام 2000 م.
- وردة الرمال "قصة قصيرة" عام 2003م.
- رواية "شاء القدر" عام 2006 م.

- رواية "أوجاع الذاكرة" عام 2008 م.
- رواية "الخابية" عام 2014 م.
- رواية "وادي الحنّاء" عام 2018 م.
- رواية "قلب الأسباني" عام 2018 م.
- رواية "كنزة" عام 2024 م.

كما نشرت العديد من الأشعار والقصص في الصحافة الوطنية والعربية: الجمهورية الأسبوعية_الخبر_ المساء_ مجلّة كتابات معاصرة.

الجوائز المتحصّلة عليها:

- الجائزة الأولى في القصّة القصيرة عن مسابقة جمعية رضا حوحو الثّقافية ببشار الجزائر عام 1991.
- جائزة أحسن منشطة إذاعية عن مسابقة نظمتها إذاعة تبسة عام 1996.
- الجائزة الثانية في مسابقة نظمها اتحاد الكتاب الجزائريين فرع قالمة على هامش ملتقى الكتابة النِّسْويَّة ماي عام 2011.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر:

1. جميلة طلباوي، وادي الحنّاء، دار ميم للنشر، الجزائر، ط.1، 2018.

ثانيا :المعاجم:

2. ابن منظور، لسان العرب، عبد الله على الكبير، ومجموعة من الباحثين، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة، د.ط، د.ت.

3. ايكهولتكرانس، قاموس مصطلحات الأنثروبولوجيا والفلكور، تر: محمد الجوهري وحسن الشامي، دار المعارف، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، ط1، 1972.

4. المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، مطابع وزارة التعليم العالي، القاهرة، مصر، د.ط، 1999.

ثالثا: المراجع:

5. أحلام مستغانمي، الأسود يليق بك، دار نوفل، بيروت، لبنان، ط 1، 2012.

6. أحمد يوسف عبد الفتاح، لسانيات الخطاب والأنساق الثقافية، دار الاختلاف، بيروت، لبنان، ط1، 2010.

7. أرثر أيزا برجر، النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسيّة، تر: وفاء إبراهيم، رمضان بصطاويس، المشروع القومي للترجمة القاهرة، مصر، ط1، 2003.

8. بيار بورديو، الهيمنة الذكورية، تر: سلمان قعقراني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان ط1، 2009.

9. حوّاء حنكة، عايشة، سامي للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الوادي، الجزائر، ط1، 2016.

10. ربيعة جلطي، عازب حي المرجان، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف، لبنان، الجزائر، ط1، 2015.

11. رشيد بوشعير، المرأة في أدب توفيق الحكيم، الأهالي للنصر والتوزيع، دمشق، ط1، 1996.

12. صلاح قنصوة، تمارين في النقد الثقافي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، القاهرة، ط1، 2002.

13. طارق بوحالة، أسس النقد الثقافي وتطبيقاته في النقد العربي المعاصر، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2021.

14. عبد الله الغذامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط3، 2005.

15. عبد الله محمد الغذّامي، المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 2006.

16. عزّ الدين جلاوجي، الرّماد الذي غسل الماء، دار الروائع، الجزائر، ط4، 2010.

17. عمارة لخوص، رواية طير اللّيل، دار حبر للنّشر، الجزائر، ط1، 2019.

18. عيسى برهومة، اللّغة والجنس، حفريات لغوية في الذكورة والأنوثة، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2002.

19. فضيلة الفاروق، أقاليم الخوف، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2010.

20. فضيلة الفاروق، تاء الخجل، دار الريس للكتب والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2003.

21. مجموعة من الباحثين، اشتغال الأنساق المضمرة في الخطاب الأدبي، دار خيال للنشر والتَّرجمة، الجزائر، ط1، 2019.

22. مجموعة من الكتاب، نظرية الثقافة، تر: علي سيد الصاوي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة، الكويت، د.ط، 1997.

23. محمد بدر معبدي، أدب النساء (في الجاهلية والإسلام)، مكتبة الآداب مصر، د.ط، د.ت.

24. محمد عبد المعبود مرسى، علم الاجتماع عند تالكوت بارسونز بين نظريتي الفعل والنسق الاجتماعي، الناشر، مصر، د.ط، د.ت.

25. محمد مفتاح، النّص من القراءة إلى التنظير، شركة النشر والتوزيع، المغرب، ط1، 2000.

26. مصطفى عبد الرزاق، الدين و الوحي والإسلام، مؤلفات الجمعية الفلسفية المصرية، دار إحياء الكتب العربية، د.ط، 1995.

27. ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل النّاقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط3، 2002.

28. واسيني الأعرج، الغجر يحبون أيضا، دار البغدادي للطباعة والنشر، ط2، 2019.

29. واسيني الأعرج، سيدة المقام، مراثي الجمعة الحزينة، دار الأدب الجزائر، د.ط، 2003.

30. واسيني الأعرج، سيرة المنتهى عشتها... كما اشتهتني، دار البغدادي للنشر والتوزيع، ط5، 2015.

31. واسيني الأعرج، مملكة الفراشة، مجلة دبي الثقافية، دار الصدى الإمارات العربية المتحدة، دبي، ط1، 2012.

رابعا: الرسائل الجامعية:

32. بلقاسم بن زنين، الجزائر في الفكر الأنثروبولوجي، كتاب جزائر الأنثروبولوجيين ـ نموذجاـ، مذكرة ماجستير، جامعه أبو بكر بلقايد تلمسان، كليّة العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الثقافة الشعبية،2000,2001.

33. عبد الله مزيان، الأبعاد التربوية في عادات وتقاليد أهالي مغنيه ونواحيها، رسالة ماجستير في الأنثروبولوجيا، جامعه أبي بكر بلقايد، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الثقافة الشعبية، تلمسان، 2003، 2004 .

34. لعلى يحياوي، حماية المقدسات الدينية عند الدول الإسلامية، دراسة مقارنة بين الفقه الإسلامي والقانون الجنائي العام، مذكره ماجستير، جامعه الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2009، 2010.

خامسا : المجلات

35. أحلام بوعلاق، جدلية الأنا والآخر في رواية تاء الخجل لفضيلة الفاروق، مجلة إشكالات، تمنراست، الجزائر، العدد، 12 ماي، ،2017.

36. جاسم محمد عباس، الأنساق الثقافية في شعر موسى حوامدة، مجلة الجامعة العراقية، جامعة الأنبار، كلية الآداب العربية، قسم اللغة، العدد 49، ج2.

37. رفيقة سماحي، صورة المرأة في الرواية الجزائرية المعاصرة، عرس معشق ربيعة جلطي نموذجا، المدرسة العليا للأساتذة ببشار، الجزائر، مجلة التطوير العلمي للدراسات والبحوث، المجلد الثالث، العدد، ،12 2022.

38. عامو عمارة، شريف بموسى عبد القادر، ثنائية الذكورة والأنوثة في رواية أقاليم الخوف، لفضيله الفاروق، المركز الجامعي مغنية، الجزائر، جامعه أبو بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، مجلة النّص، مجلد 9، العدد3، 2022.

39. عبد العالي أحمد الصالح، يوسف العايب، المرأة في الرواية الجزائرية المعاصرة، رواية تاء الخجل لفضيلة الفاروق أنموذجا، جامعة الوادي، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية، المجلد 5، العدد 4، نوفمبر، 2022.

40. فتيحة طويل، سعاد طويل، المجتمع البطرياركي ومعاناة المرأة، قراءة في رواية فضيلة الفاروق، مجلّة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد 8، العدد 5، 2019.

41. لودي بوفلجة، بحسون حسين، مقاربه سيميائية لرواية وادي الحناء لجميلة طلباوي، جامعة طاهري محمد، بشار، مجلّة دراسات، المجلد 7، العدد3، ديسمبر، 2018.

42. يسمينة عوادي، تخييل الأنساق الثقافية في رواية وادي الحناء للروائية جميلة طلباوي، جامعة الوادي، الجزائر، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، المجلد 6، العدد1، مارس 2023 .

سادسا: المواقع الإلكترونية:

43. طارق بوحالة، النسق الثقافي، صحيفة المثقّف، صحيفة إلكترونية، 6 فبراير 2024.

44. منال شرف، بين الزّينة والتّاريخ.." الحنّاء " في اليمن أعرق من مجرّد نقش، تعز أونلاين، 15 يونيو 2020.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

العنوان	
شكر وعرفان	
الإهداء	
مقدمة	أ
مدخل: **من النقد الثقافي إلى الأنساق الثقافية**	
1. مفهوم الثقافة	**05**
2. مفهوم النّقد الثّقافي	**06**
3. مفهوم النّسق	**07**
4. مفهوم النّسق الثّقافي	**08**
الفصل الأول: **الأنساق الثقافية في بعض الرّوايات(نماذج)**	
المبحث الأول: النسق الديني	**11**
المبحث الثاني: النسق الاجتماعي	**15**
المبحث الثالث: الحضور الأنثوي في النص الأدبي ونسق الفحولة	**21**
أولا: الحضور الإيجابي والسلبي	**21**
ثانيا: الحضور المهيمن (الطاغي)	**26**
ثالثا: ثنائية المركز والهامش	**31**
رابعا: نسق الفحولة	**37**
الفصل الثاني: **دراسة الأنساق الثقافية في رواية "وادي الحناء " لجميلة طلباوي**	
المبحث الأول: النسق الديني والهيمنة الناعمة	**41**
أولا: الزاوية والخطاب الديني	**41**

ثانيا: عويشة	**46**
ثالثا: الحناء	**53**
المبحث الثاني: النسق الاجتماعي	**60**
أولا: نسق الفحولة	**60**
ثانيا: العادات والتقاليد	**66**
خاتمة	**70**
الملاحق	**74**
قائمة المصادر والمراجع	**78**
فهرس المحتويات	**84**
الملخص	

الملخص :

يهدف هذا البحث الى دراسة النسق الديني والاجتماعي والحضور الأنثوي في رواية وادي الحناء لجميلة طلباوي، التي احتوت ثماني ورقات تسرد أحداث قصة"عويشة" المرأة الصحراوية المثقفة المتحدِّية لعادات وتقاليد مجتمعها الصحراوي المحافظ، كما سلطت الضوء على الزَّاوية ومكانتها في الجنوب الجزائري إضافة إلى عادات وتقاليد وطقوس مجتمع " تيمي" وتعتمد هذه الدراسة على آليات النقد الثقافي، الذي يكشف الأنساق الثقافية و للوصول إلى الهدف المرجو، تمّ اتباع الخطّة المكوّنة من: مدخل يتضمن مفاهيم متعلقة بالنقد الثقافي والنسق الثقافي وفصلين: الأول: الأنساق الثقافية في بعض الروايات (نماذج)، والفصل الثاني: كان تطبيقا على الرواية، تطرّقنا فيه إلى الكشف عن الأنساق الثقافية– تحديدا– النّسق الديني والهيمنة الناعمة والنسق الاجتماعي، وختمنا بحثنا بخاتمة شملت أهم النتائج المتوصل إليها.

الكلمات المفتاحية: وادي الحناء _ النقد الثقافي _ الأنساق الثقافية.

Summary :

The research aims to study the religious, social systems and the feminin presence in the novel of « Ouadi El-Henna" which_contains of eight (8) pages narrating the events of the Saharia cultivated woman. «Awicha» who confront her social customs and traditions. Moreover, the novel spots the light on «Zawya» and its status in the South of Algeria, in addition to the customs, traditions and rituals of «Timy» community. the study is based on the cultural critic techniques that reveals the cultural system of a given literary work .

To attain these goals, the research goes on the following work plan: starts with an entry to list the notions linked to the cultural critic and system. Besides to two other chapters. The first chapter deals with examples of the cultural system in some novel works. The second chapter: application of the study the novel " Ouadi El Henna" to reveal the cultural systems, mainly the smooth religious and social systems

On conclusion, listing the most prominent results .

Key words: Ouadi El-Henna - the cultural critic - the cultural systems

تمت بحمد الله